جامعة بيروت العربية

وثائق ودراسات لبنانية
٢

دفاعاً عن العلم
دفاعاً عن الوطن

الدكتور عمر فروخ

١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يصدر هذا الكتاب وهو الثاني من سلسلة « وثائق ودراسات لبنانية » ، مشتملا على رسالتين كان الدكتور عمر فروخ (١٩٠٦ ــ) قد نشرهما خلال عامي ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ٠ وقد عمدت السلطة القائمة آنذاك الى الحد من انتشار هاتين الرسالتين وذلك عن طريق محاولة شراء النسخ التي عرضت في الاسواق ٠ والان يعاد نشرهما بنصيهما الكاملين الاصليين محافظة على قيمتهما التاريخية ضمن هذه السلسلة من الوثائق والدراسات اللبنانية ٠

بيروت **توفيق راشد حوري**

شوال ١٣٩٧هـ
تشرين الاول ١٩٧٧م

طبع في دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت

دفاعاً عن العلم

كلمة في

مناهج البكالوريا اللبنانية وامتحاناتها

« ليست الحكومة مسؤولة عن سيئات الماضي ، ولكنها مسؤولة عن استمرار هذه السيئات وعن إزديادها »

بيروت – رمضان ١٣٦٤ ، آب ١٩٤٥

تمهيد

هذا تقرير شخصي ، يصف حال الشهادات الرسمية للحكومة اللبنانية ويبسط حال مستقبلها ٠ ومع أن المقصود بهذا التقرير البكالوريا اللبنانية بقسميها الاول والثاني ونوعيها العلمي والادبي ، فانه ينير جانب المنهاج الرسمي كله ويدل على ما فيه من نقص ومن توجيه سيء على الاخص ٠

والمقصود من وضع هذا التقرير انما هو الاصلاح على الاصح ٠ ولكن قد يكون فيه ما يمكن أن يعد مسيئا الى فلان أو مثيرا لفلان ٠ ليكن ذلك كذلك فان مصلحة الامة يجب ألا تتغلب عليها مصلحة الافراد ، فان الافراد أشباح تمثل أدوارها على مسرح الحياة ثم تختفي ، أما الامم فباقية ٠ وليس في الارض فرد يبلغ من العظمة مبلغا يجعل مقامه الشخصي فوق خير المجموع ٠ وان المتدبر لنقص التعليم الرسمي ولسياسة البكالوريا اللبنانية ليدرك أن النشء الذي هو بين أيدينا اليوم عرضة غدا لكوارث قومية وخلقية ٠

- ١ -

أما سبب وضع هذا التقرير اليوم فراجع الى امور :

أولها ان السكوت عن منهاج البكالوريا وعن سياسة الامتحانات الرسمية أصبح – كما سيرى القارىء في ثنايا هذا التقرير – نوعا من الخيانة القومية والاستهتار الخلقي ٠

وثانيها ان الافواه كانت منذ عام ١٩١٨ الى عام ١٩٤٣ – أي في مدة ربع قرن كامل – مكمومة لا يستطيع لسان أن ينطلق بكلمة حق ٠ ثم جاء الاستقلال فأخذت الوزارات الاستقلالية – كلما أراد نفران يقولوا كلمة حق – تقول لهم : « ليس الآن وقت ذلك اتركوا أنتم الامر للحكومة فهي مهتمة بكل شيء ، ولكنها تقدم الاهم على المهم » ٠ بعدئذ اتضح وراء كل ريب ان الحكومات التي تعاقبت

علينا ـ حتى منذ عام ١٩٤١ كانت تهتم بكل شيء الا بالعلم الذي يبني مستقبل الامم الصحيح • وكانت تحاول الايهام بأنها تسعى لتقرب ما بين القلوب ، مع انها كانت تضع في المعارف وفي الامتحانات الرسمية أشخاصا همهم الاول التفريق بين القلوب • وكانت تضع بين أيدي الطلاب في المدارس الرسمية نفسها كتبا أو تسكت عما في بعض المدارس الاستعمارية والخاصة من كتب فيها ما يستفز الشيخ الحليم •

وثالثها ان الحكومات المتعاقبة منذ تموز ١٩٤١ الى تموز ١٩٤٥ أطلقت العنان لكل الناس : يطلقون النار في الهواء ، ويتآمرون على استقلال البلاد ، ويشتم بعضهم بعضا على صفحات الجرائد أو يتخذون لانفسهم الصفة الرسمية في كل مواقف فيعلنون في الراديو وفي الجرائد وفي المجلات ومن على منابر المدارس الخاصة والرسمية أيضا ، أو يصرحون للمراسلين الاجانب بكل شيء يناقض برنامج الوزارات ويكيد للاستقلال وهم يلوحون ـ عند الحاجة ـ بالالتجاء الى الاجنبي • وكلما أراد أحد الناس أن يقول كلمة حق ، قيل له : اسكت الآن ••• الى آخر سورة الحلم التي تفقه رجال الوزارات الاستقلالية في ترتيلها •

ورابعها ان الحكومات لجأت الى العزف على وتر المناهج ، وخطبت واستخطبت وكتبت واستكتبت في حذف الثقافة الفرنسية وفي رفض مشروع المعاهدة الثقافية مع فرنسة • ولكنك اذا تأملت سياسة الامتحانات الرسمية ـ كما سترى ـ أيقنت ان نفرا غير قليلين من الذين تكل اليهم الحكومة وضع المناهج وتسلمهم الاشراف على المصالح الثقافية اللبنانية هم من أعمدة الثقافة الاستعمارية •

وخامسها ان في سياسة الحكومة التعليمية (اذا كان للحكومة سياسة تعليمية) غموضا وابهاما لا يمكن أن يفسرا تفسيرا يتفق مع الاستقلال والقومية أبدا • ان الحكومة تحرص منذ عامين أو أكثر على ايجاد لجنة لوضع المناهج التعليمية فتشكل لجنة رسمية خاصة ، ثم تستبدلها بلجنة كبيرة عامة ، ثم تدع هذه قائمة وتشكل لجنة مختلطة ولكن أقصر حواشي ، مع ان الخطب أيسر مما تظن : لقد وضع رجل واحد لسورية برنامجا مفصلا للمناهج والبرامج في جميع أدوار التعليم مع الاقتراحات الضرورية للمستقبل ، ومع اقتراح لملاك المعارف ثم نفذت المعارف هذه المناهج والبرامج ، كل ذلك في مدى ستة أشهر ، بينما الحكومة اللبنانية لا تزال منذ ثلاثين شهرا تفكر في انشاء لجنة تفعل ما

فعل ذلك الرجل الواحد ولم يكتب لها التوفيق بعد •

ـ ٢ ـ

وزعم قوم ان لبنان يجب أن يكون له سياسة خاصة وثقافة خاصة لان له كيانا خاصا • واستعرضنا تلك المزاعم فلم نجد ان الامم التي نزلت في ظلمات التاريخ على سواحلنا كانت أكثر عددا من الامم التي نزلت في سائر الشرق : ان الهلال الخصيب من البصرة حتى الاسكندرونة ثم جنوبا فغربا الى مصر قد خضع لتاريخ واحد منذ رعمسيس الى نابليون فاللنبي فلتلتون • ولقد كانت هذه الاقطار تتفاضل دائما في مقدار دفاعها الغزاة عن بلادها • وما يقال عن التاريخ يقال عن الجغرافية : ان بيروت مثلا ليست أكثر تماسا بالاجانب من بور سعيد والاسكندرية وحيفا والبصرة واستانبول وغيرها • ان المرافىء كلها تخضع لعوامل متشابهة • ولقد أصبح من العبث اليوم أن نتكلم عن قرب المدن من شاطىء البحر وعن أهمية ذلك بعد أن أصبحت وسائل النقل والاتصال على ما هي عليه اليوم • لقد كانت بيروت أقرب صلة الى اوروبة يوم كانت المراكب الشراعية تستبد بحمل الناس بين الغرب والشرق • أما اليوم فان في كراتشي وفي القدس والبصرة وسن الدبان وبغداد والقاهرة وسائر المدن الداخلية من المطارات ما لا تحلم بيروت بمثله •

ولكن هنالك شيئين يجب أن نقر بأنهما لا يزالان الى الآن يعملان على توسيع الشقة بين الغرب والشرق عامة وبين لبنان والشرق خاصة • أولهما ان الشرق ضعيف في الناحية المادية من الحياة ، فهو من أجل ذلك خاضع لاطماع الغرب وخاضع بالتالي لمقدار كبير من ثقافة الدول التي تسيطر عليه سياسيا • وثانيهما ان في لبنان قوما يستشعرون حبا لدولة أجنبية ويعدون استعمارها لهم استقلالا تاما ناجزا • على ان هذين الشيئين ليسا من أسباب الفخر لا للشرق ولا لأولئك القوم في لبنان •

من أجل هذا كله رأيت أن أكتب هذه الكلمة الموجزة لادل على بعض مواطن الخلل القومي • وقبل أن أختم هذا التمهيد يجب أن اصارح الرأي العام بحقيقة مرة جدا : هي ان أكثر المدارس أصبحت الآن ـ كما سنرى ذلك مفصلا في محله ـ تعتمد في « انجاح تلاميذها » على مناورات ومداخلات في أواخر العام المدرسي أكثر مما تعتمد على تفهيم العلم في أثناء العام كله الا معاهد تعد

على بنان الاصبع الواحدة أو لا تكاد ٠

ولبنان اليوم في عرف القانون مستقل ، والاستقلال يجب أن تؤيد أركانه بسياسة تعليمية ٠ وسياسة التعليم كانت منذ عام ١٩٢٠ سياسة استعمارية ولا تزال مستمرة كذلك الى اليوم ـ اننا نسير اليوم على المنهاج الذي وضعه الانتداب ونستخدم لتنفيذه الاشخاص الذين خلقهم الانتداب ٠

على ان لبنان دخل في مشاورات الوحدة العربية طائعا مختارا وأعلن ذلك بلسان رئيس الجمهورية وألسنة رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية وعلى ألسنة النواب ، وكان للتعاون الثقافي من ذلك النصيب الاوفر ، ولكن هناك نفرا لا يزالون يصرون على أن يخالفوا بين مناهج لبنان ومناهج البلاد العربية حتى في الروح والتوجيه ٠ وبينما تجد اللغة العربية وحدها هي لغة التدريس في المدارس الابتدائية في غير لبنان تجد نفرا في لبنان لا يزالون يصرون على أن يبدأ تعليم الافرنسية من رياض الاطفال ، ذلك لان لفرنسة تقاليد في لبنان !!

ان اللغة تحفظ كيان الشعوب ولذلك يجب صرف النظر عن كل ما يمكن أن يعترض سير اللغة العربية في لبنان : ان الشعب الذي يفقد لغته يفقد كيانه ثم يمحي هو نفسه من ذاكرة التاريخ ٠

ـ ٣ ـ

هذا ما دفعني الى خط هذه الكلمة ٠ واعيد هنا ما بدأت به هذا التمهيد : ان هذا تقرير شخصي ، لا صلة له بأحد ولا يدافع عن أحد ولا يهاجم أحدا ، انه احتكام الى الرأي العام وبسط لداء مستوغل مستأصل ٠ انه تذكرة للحكومة التي تعد ولكنها تؤجل الوفاء اذا لم يكن هذا الوفاء في مصلحة قوم آخرين ٠ ان حال الحكومات التي تعاقبت علينا منذ تموز ١٩٤١ حال والد رحيم حليم طيب القلب كثير الاعمال له بضعة أولاد أصغرهم « ولد مدلوع » لا يصبر على شيء ولا يعجبه شيء وكلما أراد شيئا بكى وصاح فيدفع له أبوه ما يريده إسكاتا له ، وقد بقي هذا الأب حليما ، الا ان الطفل شب الآن عن الطوق ولكنه ما زال يذكر السلاح الذي كان يحصل به من أبيه على ما يريده : لقد تحولت العقيدة الى مصلحة وصعب انتزاعها ٠ غير ان الاصلاح اليوم لا يزال أهون مما سيكون عليه غدا ٠

المنهاج الحالي

منهاج المعارف اللبنانية منهاج امتحان لا منهاج تدريس ، ومنهاج يتمشى مع النفوذ السياسي والاداري لا مع المنافسة العلمية ٠ ثم هو منهاج استعماري لا منهاج قومي ولا منهاج علمي ٠

وضعت فرنسة للبنان منهاجا استعماريا باللغة الافرنسية ثم نقل المنهاج الى اللغة العربية ، وقد روعي في وضع هذا المنهاج :

١ ـ الناحية النظرية من التعليم في جميع مراحله لانه يمنع الوطنيين اتقان الصناعات المختلفة التي تغني البلاد عن أوروبة أو تغني الحكومة عن الاستعانة بالفنيين المستعمرين على الاقل ٠

٢ ـ ازدحام المنهاج بالتفاصيل حتى يضيق وقت الاستاذ ووقت التلميذ عن التفكير في الاستقلال الشخصي ، فالمعلم والتلميذ يتسابقان طول العام المدرسي حتى ينهيا المنهاج ثم لا يستطيعان ٠

٣ ـ جعل اللغة الافرنسية اللغة الاساسية في التعليم تعلم منذ رياض الاطفال ثم تزيد شيئا فشيئا حتى يصل الطالب الى الصفوف الثانوية فلا يدرس في اللغة العربية الا اللغة العربية فقط ، الا في بعض المدارس الوطنية التي تعلم بعض التاريخ وبعض الجغرافية فقط بالعربية ٠

٤ ـ جعل الجانب الافرنسي والعلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافية بارزا جدا حتى جهل أكثر الطلاب حقيقة بلادهم وأتقنوا المعلومات عن فرنسة دون سائر أوروبة ٠ ولقد سئل طالب في دورة حزيران ١٩٤٥ للبكالوريا اللبنانية عن منابع نهر العاصي فقال انها تقع في تركية ! وسئل آخر عن النبطية فقال انها نهر في فلسطين ٠

★ ★ ★

كان المستشار الحقيقي في المعارف اللبنانية « الارسالية اليسوعية » ذلك لان حكومة الانتداب استطاعت أن تصل بهذه الواسطة الى أبعد ما تريده · ان اليسوعيين كانوا يرمون من تعليمهم الابتدائي والثانوي والعالي الى تأييد النفوذ الفرنسي في البلاد وتحبيب الانتداب الى السكان · ولذلك وضعت الحكومة الفرنسية جميع الوسائل حتى الجيش تحت تصرف اليسوعيين ، ومن ذلك الموظفون في المعارف وفي غير المعارف ، حتى صار اليسوعيون يتبجحون في عام ١٩٣٠ حينما كان النفوذ الفرنسي في الذروة ــ بقولهم : « كان المبشرون (اليسوعيون) في أول الامر ، أي قبل الانتداب ، ينشئون المدارس في جبل الدروز بطلب من بعض الزعماء ، ثم يغلقون هذه المدارس اذا قصرت مواردهم عن ادارتها · أما الآن ، فان التعليم وخصوصا في جبل الدروز يقوم على تعاون وثيق بين المبشرين (اليسوعيين) وبين السلطات العامة (١) » !

فالمنهاج الرسمي سيء اذن لانه منهاج استعماري ، ولانه يهتم بنتائج الامتحان فقط ، ذلك الامتحان الذي يتناول عاما واحدا من أعوام الدراسة والذي ينجح الطالب فيه بوسائل بعيدة أحيانا عن العلم الصحيح · ثم هو سيء لان التوجيه فيه سيء ·

(١) من أراد التوسع في نفوذ اليسوعيين في التعليم فليرجع الى كتاب « اليسوعيون في سوريا » (١٨٣١ ــ ١٩٣١) باريس ١٩٣١ وهو باللغة الفرنسية :
Les Jesuites en Syrie, (1831 — 1931). Paris 1931

تدريس المنهاج

لا تستطيع الحكومة اللبنانية أن تقول انها تسيطر على التعليم في الجمهورية اللبنانية · ان التعليم العالي جميعه في أيدي ارساليات تبشيرية كثيرا أو قليلا ، أو في أيدي مدارس خاصة مختلفة النزعات · أما أثر الحكومة في التعليم التكميلي والابتدائي فغير ذي خطر ، ذلك لان المدارس الرسمية لا تضم أكثرية الطلاب في الجمهورية اللبنانية · لنقبل جدلا ان الحكومة تسيطر على بعض الطلاب في مدارسها الابتدائية فمن هم أولئك الذين يقومون على تنشئة هؤلاء الطلاب القليلين ؟

لما وضع اليسوعيون مناهج التعليم الرسمي حرصت حكومة الانتداب ــ في شخصية ادارة المعارف ــ على أن تختار لتلك المدارس معلمين يستطيعون أن ينفذوا هذا المنهاج الاستعماري بنجاح : لقد أرادت أن تستبدل بالمعلمين الذين كانوا موجودين يومذاك معلمين آخرين ، فبدأت تعزل بين الفينة والفينة بضعة معلمين ثم تضع مكانهم من ينفذ المنهاج الاستعماري المقصود · ولكن حكومة الانتداب ضاقت بتلك الطريقة البطيئة ذرعا ، حتى اتفق أن كان اميل اده عام ١٩٢٩ رئيسا للوزارة اللبنانية فأوحي اليه أن يضرب المعلمين المخلصين الوطنيين ضربة واحدة ، ووافق ذلك هوى في نفسه فصرف نحو أربعمائة معلم · أما الغايات المستترة وراء هذه السياسة فكان منها :

١ ــ ابعاد المعلمين المعروفين بالنزعة العربية والروح الاستقلالية عن حقول التنشئة الوطنية بحجة انهم لا يعرفون اللغة الفرنسية ، حتى ولو كانوا يدرسون النحو العربي ·

٢ ــ اقفال عدد كبير من المدارس الرسمية بحجة نقص المعلمين (الذين لا يتقنون تنفيذ المناهج الاستعمارية) ليحول عددا كبيرا من الطلاب الى مدارس اليسوعيين واخوانهم ·

٣ ــ التضييق على طبقة من طبقات السكان في الجمهورية اللبنانية سياسيا واقتصاديا ·

ولا يزال الذين شهدوا هذه المأساة يذكرون غضبة عبد الحميد كرامي وطرابلس الأبية من ورائه لتلك الفاجعة القومية . وعلى الرغم من مرور ستة عشر عاما على هذا الحادث فان الذين يحتضنون الفكرة الاستقلالية يذكرون صاحب الدولة اليوم عبد الحميد كرامي بغضبته بالامس : ان التاريخ لا ينسى !

وكانت الاحوال السياسية من ١٩٢٩ الى ١٩٣٩ موافقة للاستعمار التعليمي في المدارس الرسمية ، وكان اليسوعيون أصحاب اليد العليا في العزل والتولية : لقد كانت فرنسة يومذاك في أبان مجدها ، فأغلقت المناصب وحرمت الامتيازات وهضمت الحقوق الا على من يمتون بصلة التعليم الى اليسوعيين أو الى التعليم الاستعماري . ولقد اضطر الشباب الذين أبوا التعليم الاستعماري الى أن يقنعوا أنفسهم بمراكز متواضعة المظهر أو أن يضربوا في الارض طلبا للرزق : في فلسطين وشرق الاردن والعراق وفي مصر والسودان . ثم حملوا أنفسهم الى أفريقية وأمريكة لان الجمهورية اللبنانية في عهد الانتداب لم تكن تتسع الا لتلاميذ اليسوعيين ، أو اللاجئين الى اليسوعيين . على ان عددا طيبا من الشباب الاحرار استطاعوا أن يثبتوا في مراكزهم وأن يفرضوا أنفسهم في وجه جميع أنواع المقاومة وأمام أسباب الاغراء المختلفة . ثم جاء تموز ١٩٤١ وأعلنت الجمهورية اللبنانية انها أصبحت جمهورية مستقلة .

وتوالت الحكومات الاستقلالية على الجمهورية اللبنانية وأخذت الوزارات تكيل الوعود وتترك الوفاء ، ويهمنا المعارف هنا فقط . لقد تركت الحكومة جميع رجال العهد البائد في مناصبهم وزادت نفوذ نفر منهم ، ثم ضربت بالاختصاص عرض الحائط .

وانه لمن ضياع الوقت أن نتكلم عن مكانة « الاختصاص » في تاريخ التقدم الانساني وخصوصا في عصرنا الحاضر ، والعجيب ان وزارة المعارف في عهد الانتداب أدركت قيمة الاختصاص هذه فحشرت في دوائرها وحواشي دوائرها نفرا من أهل الاختصاص في الشر . أما أهل الاختصاص في الخير فلم تكن حكومة الانتداب ترغب فيهم .

التفت الآن الى الاختصاص الفني في التعليم ، فهل في وزارة المعارف كلها رجل اختصاصي واحد ؟ ان في المعارف كلها رجلا واحدا أراد أن يكون له اختصاص وصرف حياته في التطلع الى ذلك فلما شعرت وزارة المعارف في عهد الاستقلال به رفعته الى مركز اسمي في الوزارة وجردته من كل نفوذ

عملي . ان هذه السياسة تنطوي على ذكاء كبير : لقد كانت حكومة الانتداب تحرص على ملء الدوائر بالمستشارين المستعمرين ، وكانت كل حجتها انه لا يوجد في اللبنانيين أهل اختصاص . ثم لما جاءت حكومات الاستقلال حرصت على أن تحرم على أهل الاختصاص العلمي والفني أن يقتربوا أمام « أعمدة الاستعمار » الذين تحرص حكومات الاستقلال على استرضائهم ... أو تسكت عنهم جهلا بهم ، أو بأثرهم في المستقبل .

ولعل الحكومة تعلم أنها وضعت في المعارف نفرا نحترمهم شخصيا ونقدر مواهبهم ولكن لا يجوز لحكومة تدرك قيمة الاختصاص أن تفعل بهم ما فعلت : لقد وضعت حكومة الاستقلال في المعارف رجلا طيبا ولكن ليس له بالمعارف صلة ولا نسب ، ثم وضعت في المعارف أيضا آنسة تحمل شهادة في الحقوق ، ثم انها وضعت حتى في عهد الوزارة الحالية وفي المعارف أيضا رجلا كان الى أيامنا هذه في دائرة البريد .

الا ان الانصاف في شأن المعارف يقضي بأن نقول : ان في مدارس المعارف نفرا غير قلائل يؤمنون بالاستقلال ويخدمون صناعة التعليم باخلاص وتفان ويسعون الى أن يحققوا مثلا قوميا أعلى . ولكن نفوذ هؤلاء العملي ضئيل جدا ، ذلك لان أمامهم عددا غير قليل أيضا من غير المخلصين الذين يحاربونهم سرا وعلانية . ثم لو فرضنا جدلا ان هؤلاء المخلصين طبعوا تلاميذهم بطابع وطني نبيل في أثناء التدريس الابتدائي وبعض التدريس التكميلي ، فانهم في آخر الامر سيضطرون الى أن يسلموهم الى مدارس استعمارية أو مدارس غير وطنية ، فتهدم هذه المدارس ما بناه المعلمون المخلصون في المدارس الرسمية .

والخلاصة انه ليس في وزارة المعارف شيء اسمه اختصاص ، فليس ثمة ادارة للاشراف على الامتحانات ولا لوضع الاسئلة ولا لترتيب المناهج ولا لبناء المدارس ولا للملاعب ولا للتوجيه الصحيح . وكلما أرادت وزارة المعارف أن تقوم بعمل يسير هرعت الى تأليف لجان مرتجلة فتأتي لجانا متنافرة الاهواء مختلفة الآراء ، فتحلها لتعين لجانا أخرى مكانها ، فتضع القاضي والمهندس والمعلم والموظف والتاجر أو المتاجر لوضع منهاج أو امتحان طلاب أو ترتيب حفلة ، وتكون النتيجة دائما هذه الفوضى التي تتخبط فيها المعارف وهذا النفوذ الاستعماري الذي لا يزال ينتهز فرصة هذه الفوضى ليترك أصابعه وأظافره ردحا جديدا من الزمن تتلاعب بمستقبل هذا النشء الذي تدعي الحكومة انها تحرص عليه !

سيئات نظام الامتحانات الرسمية

يظل الطالب طالبا عاديا الى أن يصل الى صف الشهادة (الصف السادس: صف الشهادة الابتدائية ، والصف الثالث : صف الشهادة التكميلية ، والصف الاول وصف الفلسفة ، وهما صفا شهادة البكالوريا بنوعيها وقسميها) • في كل صف من هذه الصفوف تتغير نفسية الطالب لانه يشعر انه أصبح بين موقفين متنافرين : بين الشهادة التي يعتقد انها سلاح بيده ودليل وجاهة أيضا ، وبين التربية الخلقية التي لا يستطيع أن يدرك قيمتها ، وخصوصا في الصفوف الابتدائية والتكميلية • ولذلك لا ينفر الطالب من اللجوء الى وسائل مختلفة لضمان النجاح في الامتحانات الرسمية : الوسائط السياسية ، والغش اذا اتفق ، والحفظ غيبا ، وممالئة الفاحصين الخارجين ، وشراء الاسئلة اذا أمكن •

ويزيد ذلك سوءا أن المدارس أصبحت تعنى بالدعاية ، وان أعظم أسباب الدعاية العلمية للمدارس المختلفة كثرة عدد الناجحين من تلاميذها من الامتحانات الرسمية • من أجل ذلك أصبحت المدارس أيضا – والكلام هنا مطلق اطلاقا عاما – تقوم بمداخلات ومناورات لزيادة عدد الناجحين من صفوفها بوسائل ستعرفها بعد أسطر • ويبلغ السوء ذروته حينما تعلم ان المعلمين يعلمون – أو يضطرون الى أن يعلموا – تلاميذهم طرقا غير نبيلة تمهد لهم سبيل النجاح في الامتحان الرسمي اذا وجد أولئك التلاميذ أنفسهم أمام عائق لا يمكن لمعلوماتهم أن تجتازه • وسأتكلم عن هذا بالتفصيل :

هل تتسرب الاسئلة قبل ميعاد الامتحان ؟

هذه قضية أثارت ضجة كبرى منذ انشئت البكالوريا اللبنانية ، ولقد كانت تتسرب الاسئلة قبل مواعيد الامتحانات ، وما زالت الى اليوم تتسرب ولكن بطرق جديدة لا يستطيع القانون أن يتناول بعضها •

١ – الدور الاول – مر عهد كانت الاسئلة تتسرب الى مدارس مخصوصة قبل ميعاد الامتحان ، وذلك ان بعض المدارس الاجنبية التي كانت ذات نفوذ

في المعارف وكانت تضع البرامج وتضع أسئلة الامتحانات فكانت تخص نفسها وتلاميذها بالاسئلة حتى يكون عدد الناجحين من مدارسها أكبر • ولقد أثارت هذه الحركة ضجة ، وحدث لغط شديد اضطرت المعارف من اجله الى أن تبدل مظاهر وضع الاسئلة مرات • وقيل ان أسئلة بيعت • ولا ريب في ان أسئلة عرفت قبل ميعادها •

٢ – الدور الثاني : لقد كانت تفرض على ادارة المعارف أسئلة معينة •

ادعت ادارة المعارف منذ بضعة أعوام انها ، حرصا على « سرية الامتحانات » ، ستلجأ الى وضع الاسئلة في ادارة المعارف نفسها • ولكن بما انه ليس في ادارة المعارف دائرة اختصاص تستطيع أن تفعل ذلك فقد طلبت ادارة المعارف يومذاك من كل مدرسة تعد للبكالوريا اللبنانية نحو عشرين سؤالا لتختار هي منها ما تشاء • وأذكر ان كل مدرسة من هذه المدارس قد أرسلت الى ادارة المعارف عشرين سؤالا للادب العربي – لان الضجة كانت ثائرة يومذاك حول الادب العربي وان كانت الضجة ضرورية حول مواد الامتحان كلها – • وبما ان بعض المدارس الاجنبية كانت عظيمة النفوذ في ادارة المعارف فقد كانت الاسئلة تختار من قوائمها على أساس معروف ، وكانت تلك المدارس تمرن طلابها على الاجابة على هذه الاسئلة قبيل مواعيد الامتحانات الرسمية : وكانت هذه الاسئلة توضع بشكل غريب لا يمكن أن يخطر الجواب المتفق عليه فيها الا لابناء المدارس التي أشرنا اليها •

اعدادالطلاب قبل الامتحانات الرسمية

وبما ان منهاج المعارف هو منهاج امتحان في الدرجة الاولى ، فان همة المدارس تنصرف الى اعداد الطلاب للنجاح في الامتحان بصرف النظر عن قيمة العلم الذي تحرص على بثه بين أولئك الطلاب •

١ – يعطي الطلاب موضوعات معينة ليحفظوها غيبا أو قريبا من ذلك وليكتبوا في الامتحان الموضوع الذي يكون منها • هذه عادة خطة المدارس التي تستطيع دون غيرها أن تستنشق أسئلة الامتحان – وفي هذا تربية للطلاب على الغش •

٢ – وبما ان السيطرة على الامتحانات الرسمية لفريق مخصوص من الناس ،

فان الطالب يعلم على أن يضرب على الوتر الذي تميل اليه أكثرية الفاحصين ، ولو كان بعيدا عن الروح الاستقلالية · وسيأتي شرح ذلك في باب « المحنة الاستعمارية » · أما في الامتحان الشفهي فيقال للطالب تنسم ميل الفاحص ثم أعطه الجواب الذي يسره لتنال أعلى علامة ممكنة – وفي ذلك تمرين للطلاب على النفاق ، والمخادعة ·

فقدان الاختصاص في الفاحصين

ونعود هنا الى الاختصاص مرة ثانية : تكلمنا هنالك كلاما عاما ، ونذكر هنا الشواهد والامثلة ·

في العهد الاول كان المعلمون في المدارس الرسمية وفي المدارس الخاصة يشتركون في الامتحانات الرسمية· ثم رأت وزارة المعارف ان نتائج الامتحانات كانت تعتمد على الصراع بين الفاحصين أكثر من اعتمادها على مقدرة الطلاب: كانت بعض المدارس الاجنبية تقف بما لها من النفوذ في وزارة المعارف صفا مرصوصا في وجه المدارس الوطنية · وأخيرا أدركت الحكومة ان هذه الحال قد وصلت الى حد لا يصح السكوت عليه ، فبحثت عن مصدر الداء وعرفته ولكنها لم تجسر – والعهد عهد انتداب – ان ترد الحق الى نصابه فلجأت الى حيلة بارعة : لقد أعلنت انها لن تأخذ بعد ذلك اليوم فاحصين من المدارس الخاصة ·

ولكن بما ان المعارف ليس فيها اختصاص فني ولا علمي ، اذ ان مدارسها ابتدائية ثم هي تحتاج الى فاحصين في البكالوريا الاولى والثانية : في الاد[ب] والرياضيات والعلوم والفلسفة ، فقد اضطرت الى أن تعين فاحصين من خارج ملاك المعارف فكانت تجمع الفاحصين من الموظفين وأصحاب المهن الحرة كالقضاة والكتاب ورؤساء الاقلام ثم تسد الثغرات ببعض الادباء والمتأدبين · وجميع هؤلاء كانوا خليقين بالاحترام الشخصي وكانوا موظفين ممتازين أو أصحاب مهن حرة من ذوي البراعة ، ولكنهم كانوا على كل حال بعيدين كل البعد عن صناعة التعليم بمقدار ما تجد استاذ الفلسفة مثلا بعيدا عن صناعة التوليد ، تماما ·

ثم ان للاساتذة المدرسين على ذلك احتجاجين أساسيين :

أولهما – ان الاساتذة المدرسين هم ذوو الاختصاص في صناعة التعليم فالامتحانات الرسمية يجب أن تكون بأيديهم ، واذا كان بعضهم قد خان واجبه فقد كان على الحكومة بدلا من أن تأتي بالقاضي ليفحص في التاريخ والجغرافية وليس ذلك من اختصاصه في شيء ، أن تأتي بذلك القاضي عينه ليكتشف جريمة أولئك الفاحصين ، ذلك هو اختصاصه الذي يتناول عليه المرتبات من الحكومة · ولعلك لا تستغرب اذا عرفت ان بعض الاسئلة تكون موضع تفكهة واسى وان الاجوبة تكون أحيانا مثل ذلك ، ومع هذا فالطالب ينجح ويحمل شهادة البكالوريا اللبنانية بالرغم من قوله ان النبطية نهر في فلسطين وان النيل ينبع في اليونان !

من أجل ذلك يرغب الاساتذة من الحكومة أن ترد الحق الى نصابه وأن تحول دون الذي يخون واجبه لا أن تتخلص من ورطتها بطرد صاحب الحق الامين ·

وثاني الاحتجاجين – ان الحكومة عادت فدارت وعينت بعض الذين يجب ألا تعينهم وتكلفت لذلك الاعذار وظل الحجر موضوعا على أساتذة المدارس الوطنية وحدهم ، مع ان هذه المدارس هي التي خلقت الاستقلال الذي يتمتع به لبنان اليوم ، ولو ان الامر ترك لليسوعيين واخوانهم – أي أمر الاستقلال ، وأمر التعليم أيضا – لطلبوا أن يظل لبنان في الاستعمار الى الابد ·

المحنة الاستعمارية

كل ما تقدم كان تمهيدا لهذا الباب · وكل ما تقدم لم يكن متعلقا بالوزارة الحاضرة اذ ليس من الحق أن يؤاخذ أحد اليوم بالذنوب المتراكمة منذ مطلع الاحتلال · على ان الوزارة الحاضرة مسؤولة عن استمرار تلك السيئات ومسؤولة أكثر عن ذلك عن زيادتها بعد أن لم تكن بمثل هذا المقدار · ان السياسة « الحليمة » التي تبعتها وزارات الاستقلال كان لها شعار واحد : هو أن تكم فم قوم وتضع مكبر الصوت أمام فم آخرين · ولست أريد أن أستعرض مواقف الوزارات الحاضرة خاصة من ذلك لان غايتي ليست التشهير بل الاصلاح · فحبذا أن تدرك الحكومة الحاضرة الى أين تسير بسياستها « الحليمة » بعد أن تعرف ما يلي :

المساومة القومية

يذهب الطالب الى امتحان البكالوريا خاصة وهو يشعر انه سيقف أمام فاحصين فيهم « عدد مسنود » من الذين لا يسرهم الاستقلال ولا التعاون مع الدول العربية ، فيلجأ حينئذ الى مساومة قومية في سبيل نجاحه ويحرص على أن يجيب كما يهوى « جماعة البحر المتوسط » الذين أعلنوا بلسان أحدهم ان اللغة العربية يتعلمها اللبناني من الشارع ، أما اذا كبر ونضج فهو محتاج الى لغة لها اشعاع عالمي ٠ أما اذا جسر طالب على أن ينتصر للقومية العربية وكرامة البلاد العربية ـ ولبرنامج الوزارات الاستقلالية أيضا ـ كما كان شأن الطالب ثروة القنطري ، فان مصيره لن يكون سوى السقوط وتفوز نظرية « الهدم القومي » ٠ ومع ان قضية هذا الطالب ثارت في مجلس النواب فانه لم يستفد يومذاك شيئا ٠

هذا التفاوت في الحقوق والامتيازات والنفوذ أمر مرير ٠ وذلك التناقض في السياسات أدهى وأمر ٠ قد نعذر الحكومة حينما تترك في بعض الوظائف الثقافية نفرا لا يفقهون اللغة العربية ولا يتكلمون في بيوتهم الا الفرنسية ، ثم هم يحتقرون اللغة العربية على رؤوس الاشهاد ، فنقول معها لقد كان هؤلاء من قبل فليس من الانصاف أن نخرجهم اليوم ٠ ولكننا لا نعذرها حين تطلع علينا بهبة للشعر الزجلي باللغة العامية مقدارها عشرة آلاف ليرة مع ان لغة الدولة ـ على ما يدعون اللغة العربية الفصحى ، ولغة التعاون الثقافي بين البلاد العربية اللغة الفصحى أيضا ٠

نحن لن نقول للحكومة احجبي الجنسية اللبنانية عن الذين يخدمون الاستعمار ويعملون للثقافة الاستعمارية ثم اخرجيهم من أرضك ، ولكننا نقول لها : احجبيهم على الاقل عن التغلغل في الحياة الوطنية والسيطرة على مستقبل الشعب ٠

تشويه الحضارة العربية

يجب على الطالب أن يشوه الحضارة العربية حتى ينجح في البكالوريا اللبنانية ٠ الامثلة كثيرة ولكن سآخذ الحادثة الاخيرة فقط ٠

جاء في أسئلة امتحان الفلسفة هذا العام (حزيران ١٩٤٥) سؤال عن

« ابن طفيل ومدى ابتكاره في قصة حي به يقظان » ٠ ولقد أعطي هذا السؤال لغاية معينة معروفة مفهومة : لقد أعطي لحرمان الذين يشعرون بالكرامة العربية من الشهادة ٠ ولقد نجح المتآمرون ٠

وأصر بعض الفاحصين على أن يعدوا ابن طفيل « مقلدا » تقليدا تاما حتى صرح أحد أعضاء اللجنة الفاحصة بقوله : « ليقل لي الطالب شيئا واحدا كان فيه ابن طفيل مبتكرا وأنا أعطيه العلامة الكاملة عشرين على عشرين » ، مع انه لم يكن في الفاحصين رجل واحد متخصص في الفلسفة ٠

ولكن حدث اتصال ما تم على أساسه ظلم هذا الفيلسوف العربي ـ لانه عربي ـ وعده بعضهم مقلدا ، لان طلاب المدارس الاستعمارية جميعهم عدوه مقلدا ـ أو علمهم أساتذتهم أن يعدوه مقلدا ٠ والذي وافقهم على ذلك كان يطمع الى غاية من غاياته بالسير على هذه الطريق !

لنلتفت الآن الى الموضوع الحقيقي : ونرى مدى ابتكار ابن طفيل ، وسأستشهد لك بقول رجل واحد ، هو في الحقيقة سيد مؤرخي العلم في الوقت الحاضر ، هو جورج سارطون صاحب كتاب « مقدمة لتاريخ العلم » ٠ والكتاب معدود ثقة في الموضوع ٠ قال سارطون :

« كتب ابن طفيل كتابا من أعظم الكتب ابتكارا في العصور الوسطى ٠٠٠ هو قصة حي بن يقظان ٠ ان الاطار القصصي للكتاب قديم يرجع الى قصة عربية ٠٠٠٠ ولكن ابن طفيل كان أول من استغل هذه القصة الى حد كبير من الكمال ليبرز ناحيتها الفلسفية التي هي على كل حال الشيء الاساسي ٠ ولقد كان ابن طفيل مبدعها الحقيقي والرجل الذي لفت نظر العالم اليها ٠٠٠٠ ولقد فاز ابن طفيل من أجل ذلك باعجاب عقل نقادة كعقل (الفيلسوف الالماني) ليبنتز (٢ : ٣٥٤ ، ٢٨٦) » ويكفيك أن تعلم ان كتاب « اميل » لجان جاك روسو كان تقليدا لقصة حي بن يقظان ٠ وليس هذا كل ابتكار ابن طفيل فارجع الى الكلام على ابتكاره في الفلك وعلم الحياة وعلم النفس والتربية في مواضعه ٠ ولكن لماذا أراد بعض الفاحصين في البكالوريا اللبنانية أن يعد ابن طفيل « مقلدا » وشايعهم فلان وفلان ؟

انقسم مؤرخو الحضارة حيال الفلسفة العربية قسمين : قسما استعماريا غايته الحط من شأن العرب لاستعمارهم ، وزعيم هؤلاء أرنست رينان الافرنسي

الذي يقول : « ان الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » · وبهذا تأخذ مدارس الارساليات الفرنسية في سورية وفي العالم · أما القسم الآخر فهم المنصفون الذين يقولون في الحضارة العربية ما لها وما عليها أمثال سارطون ، وطويمبي وسميث وغيرهم من مؤرخي العلم · وبهذه النظرية تأخذ كلية المقاصد الاسلامية والجامعة الاميركية (باستثناء الدكتور شارل مالك ·····) ، ثم بعض المؤسسات الكريمة ، التي لها رسالة نبيلة تؤديها في لبنان ، ولكن الحكومة اللبنانية ووزارة المعارف خاصة تقيم السدود في وجهها ·

هذا مثل واحد يستطيع القارىء أن يقيس عليه أشباهه في كل عام ان كثيرا من الاسئلة في الادب والتاريخ والفلسفة لا تصحح على أساس العلم بل على أساس المساومة القومية ، وكلما كانت عقيدة الطالب أضعف ،كان أقرب الى النجاح وأدنى الى حمل البكالوريا اللبنانية ···· الى اليوم ·

اهمال الناحية العربية

تعطى أحيانا في امتحانات اللغة العربية والفلسفة (وفي البكالوريا اللبنانية) أسئلة عامة نحو ما الحق وما الواجب (في الفلسفة) ونحو ما الشعر الغنائي (في الادب) وهذه موضوعات أدب وفلسفة فعلا ، ولكن فيها قصدا سيئا ظاهرا · هذه الاسئلة ليست على الحصر من البرنامج العربي بل من البرنامج الافرنسي ، وحينما يأتي هذا السؤال في امتحان البكالوريا فمعناه ان الطالب الذي درس البرنامج العربي بالتفصيل لا يستطيع أن يستغل جهوده واجتهاده وعقله ، بينما طالب المدارس الاستعمارية الذي أهمل دراسة المنهاج العربي بالمرة يمكنه أن يستعين بما تعلمه في المنهاج الافرنسي ويكتب فيه · واذا علمنا ان الطالب ينجح اذا أخذ ثلاثة في اللغة العربية فقط (على شرط أن تكون علامته في غير اللغة العربية عاليه) واذا علمنا مدى نفوذ المدارس الاستعمارية أدركنا حينئذ خطر ذلك كله على مستقبل اللغة العربية والحضارة العربية في لبنان ·

المداخلات

ان أساتذة المدارس الوطنية يحترمون الحكومة ويحترمون قوانينها .

ولذلك لا يحضرون الامتحانات ولا يتدخلون في النتائج ، بينما رجال الجهة المقابلة لا يملون من التدخل والتوسط ·

سموم الكتب

وهنالك كثير من الكتب التي تحمل العداء واضحا للعرب ، ولا أقصد الكتب التي يدرسها عدد من الارساليات الاجنبية ، بل تلك التي ألفها لبنانيون ، وتلك التي تدرس في بعض المدارس في الجمهورية اللبنانية وفي المدارس الرسمية نفسها ، والتي تقوم الامتحانات الرسمية على أساسها · لنأخذ كتب التاريخ مثلا ، ولنستعرض بعضها · اقرأ معي ما يلي ، وانظر الى هذه الروح الاستعمارية التي تسيطر على أمثال هذه الكتب · قال الشيخ ادمون بليبل في كتابه تاريخ لبنان العام الابتدائي على الصفحات ١٢٩ الى ١٣٦ : « في ٣ تموز سنة ١٩١٩ سافر البطريرك الياس الحويك مع بعض ممثلي الطوائف ليطالب باستقلال لبنان وانتداب فرنسة عليه ··· ان تطبيق نظام الانتداب في لبنان قد أغاظ العرب الذين وعدوا بادخال هذا الجبل ضمن دائرة ملكهم بعد الانتصار في الحرب الكبرى ، وكان سببا لمحاربتهم الافرنسيين بقصد قهرهم وارجاعهم الى بلادهم · ولذلك اعتمدوا (أي العرب) على بعض أهل جبل عامل وبلاد بشارة وأثاروهم على خصومهم مع بعض زعماء جبال العلويين ودمشق وضواحيها فثاروا في أواخر السنة ١٩١٩ · لكن الدولة المنتدبة استعانت بالسلطة اللبنانية وأخمدت فتنة العامليين وضربت العرب ضربة قاضية في موقعة ميسلون ··· وكافأت الشعب اللبناني باعطائه حق التوسع والاستقلال ·

ثم كرر الشيخ ادمون بليبل ذلك ، فقال : لكن ذلك (أي الانتداب الافرنسي) أغضب العرب فأثاروا أنصارهم في جبل عامل وبلاد العلويين ودمشق وضواحيها على الفرنسيين ، وانتهت تلك الثورة بانتصار السلطة الفرنسية ومكافأتها أصدقاءها اللبنانيين باعلان حكومة لبنان الكبير في أول أيلول ١٩٢٠ وتسليم ادارتها الى حاكم عام فرنسي · ثم حدث ثورة سنة ١٩٢٥ ··· فكان نصيبها كالاولى وكوفىء لبنان بتحويل حكومته الى جمهورية ··· » ·

وهاك ما كتبه يوسف عماد في كتابه « المختصر المفيد في تاريخ لبنان

وسوريا » (الجزء الاول ص ٤٢ ، ٤٤) : « ٠٠٠ فزحف الفرنسيون الى دمشق في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وشتتوا في ميسلون العسكر الشريفي العربي وأجلوا عنها الملك فيصل » ٠ ثم أعاد مثل هذا القول في الجزء الاول والثاني والثالث مع أن هذه الاجزاء طبعت عام ١٩٤٤ بعد مشاورات الوحدة العربية ٠

وهنالك كتب أخرى ككتاب « تاريخ لبنان الموجز » ولكن الكلام قد كثر فيه من قبل فلا حاجة الى ترديده هنا ٠

هذا شيء واحد مما كتب في التاريخ التي تغذي المعارف عليها النشء في الجمهورية اللبنانية ، هذا هو الاستفزاز الذي تدافع عنه الحكومة اللبنانية ٠ أنا أحب أن أسأل صاحب الدولة عبد الحميد كرامي وصاحب المعالي وزير الخارجية هنري فرعون عن شيء واحد : لماذا نعلن للدول العربية في خطبنا كلاما ثم نقرر في مدارسنا مثل هذه الكتب التي تسيء للدول العربية ، ونسمح للبنانيين أن يسيئوا الى الدول العربية ، وبعدئذ ندافع بكل قوانا عن هؤلاء النفر المسيئين ؟

يا صاحب الدولة حينما ألقى الفرنسيون القبض عليكم لم يكتب السوريون والمصريون في كتبهم المدرسية أن السلطة الفرنسية قبضت على بعض اللبنانيين وزجتهم في السجن وأخمدت حركتهم حتى تدرسوا أنتم اليوم في مدارسكم أن الجنرال غورو « ضرب العرب الضربة القاضية في ميسلون » ثم اذكروا أن هذه الكتب طبعت عام ١٩٤٤ للميلاد ٠

كنت أحب أن أقف هنا ، ثم أحببت أن أضيف بضعة أسطر في الناحية الانشائية لاصلاح هذه السيئات ٠

ليس اصلاح المناهج في لبنان من الناحية العملية أمرا سهلا جدا ، ولكنه ليس بالامر الخطير المعقد الى هذا الحد الذي تتخيله الحكومة حتى تظل طيلة ثلاث سنوات تفكر في ايجاد « لجنة صالحة » للنظر في هذه المناهج ، بينما قام شخص واحد في الجمهورية السورية باصلاح المناهج كلها نظريا وعمليا في مدة ستة أشهر ٠

ان رجال الجمهورية السورية يريدون أن يعملوا وقد عملوا ٠ أما رجال الجمهورية اللبنانية فلا يريدون أن يعملوا : انهم يخافون ، انهم يحاولون أن يرضوا كل انسان فتكون النتيجة أنهم لا يرضون أحدا ، وهكذا تتأخر

الاعمال ٠ وان الذين يعملون على عرقلة الاعمال هم أعمدة الاستعمار الذين لا يزالون يأملون أن تتغير الاوضاع السياسية في العالم فيبطل تعديل المناهج وغير تعديل المناهج ٠ ومن الادلة على أن رجالنا لا يريدون أن يعملوا أنهم يؤلفون لجانا متنافرة الاهواء ، وان بعض أعضاء اللجان قد فكروا سلفا باستثمار نفوذهم استثمارا تجاريا فهم أحرص على السرعة في انجاز كتب « للنشء اللبناني » قبل أن يضعوا له المنهاج ، لان الشيء المهم في رأيهم أن يستفيدوا ماديا ٠ أما النشء وأما الشعب وأما البلاد وأما الامة فهذه أمور ثانوية ٠ وما عليهم اذا لم يرض القائمون على الحكومة اليوم أو غدا من بعض كتبهم ؟ انهم سيصلحونها في الطبعات التالية ، أو ينتظرون تبدل الوزارات ٠

من أجل ذلك أرى أن وزارة المعارف وأن الحكومة قد أخطأتا حينما حاولتا أن تضعا مناهج مفصلة في مواد الدراسة : مثل أن يتعلم الطالب الجمع في صف كذا والطرح في يوم كذا والفاعل في درس كذا والانهار في زمن كذا الى آخره ٠ ثم تعاد هذه التفاصيل في كل صف وفي كل قسم وفي كل يوم ٠٠٠ طبعا ان منهاجا من هذا النوع لا ينتهي وضعه ، واللجوء الى هذه الطريقة كفيلة بألا ينتهي وضع المنهاج ٠

فماذا يجب على الحكومة أن تفعل ؟ يجب أن نقسم أمور المنهاج الحالي قسمين : قسما يجب تغييره رأسا وبغير تأليف لجان ، بل بمرسوم حكومي لا يقتضي من الزمن أكثر من أربع دقائق أو خمس ٠ هذه القسم يكون في أربعة قيود :

١ – تعتبر اللغة العربية اللغة الوحيدة في المدارس الابتدائية والتكميلية ٠ وتتخذ الخطوات لجعلها لغة التدريس العالي في مدى خمس سنوات ٠

٢ – بما أن التاريخ والجغرافية ركن أساسي في التربية القومية فان هذين الفرعين يدرسان من وجهة النظر العربية في المدارس الابتدائية والتكميلية ٠ وأما في المدارس العالية فتدرس من هذه الوجهة ومن وجهة البحث العلمي ٠

٣ – يكون في التعليم الثانوي الى جانب اللغة العربية لغة ثانية (هذه اللغة تقررها الحكومة وتستوحي تقريرها من مصلحتها السياسية والاقتصادية التي تعرفها هي – ولا يجوز أن يقررها فرد أو أفراد ليسوا مطلعين على خفايا السياسة العالمية ومستقبل العالم) ٠

٤ ـ يعتبر الطالب ناجحا في الامتحان الرسمي اذا نال ٦٠ ٪ على الاقل في كل مادة من مواد الامتحان المختلفة (وحينئذ لا يستطيع أحد أن يحمل البكالوريا اللبنانية مثلا اذا كانت معلوماته تساوي «ربعا» في الرياضيات أو « ثلاثة على عشرين » في اللغة العربية) • وبذلك نكسب الاحترام للشهادات الرسمية •

★ ★ ★

أما التفاصيل الفنية فتؤلف لها لجان اختصاص فرعية من الاساتذة أنفسهم من رجال التربية العاملين ، اذ لا يمكن لرئيس محكمة استئناف أن يضع منهاجا للالعاب المثقفة في رياض الاطفال • ولا يمكن لمهندس الري والجسور أن يشترك في لجنة لتفصيل موضوعات النحو • وبما أن الحكومة الحاضرة حكومة وطنية استقلالية فيجب أن تلجأ الى الرجال العاملين في حقول التربية من الذين لم يتلوث ماضيهم بشيء لا في عقيدتهم القومية ولا في صناعتهم الفنية • ويكفي أن تأتي الجمهورية اللبنانية بشخص واحد تكل اليه ذلك على شرط أن يتقيد بالقيود الاربعة الماضية • ويجب أن نذكر أن مناهج التعليم « تتطور تطورا مع الزمن » ولا يمكن أن تنبت كما ينبت الطحلب • ثم ان الاتجاه العام في المناهج قد أصبح معروفا موصوفا مألوفا في كل مكان فهو لا يحتاج الى هذه الضجة التي تثار حوله عندنا •

★ ★ ★

ان المسألة المعقدة في الجمهورية اللبنانية ليس البحث عن المناهج بل البحث عن الذين سيدرسون هذه المناهج • وكما أن قيمة القوانين بمنفذيها فان قيمة المناهج أيضا بمدرسيها • فعلى حكومة الجمهورية اللبنانية أن توجد سياسة تعليمية حرة صالحة وأن تختار للتدريس أهل الكفاءة من المخلصين الاستقلاليين الذين لا يؤمنون بالاستعمار ولا تطرف عينهم اليه • أما المناهج فستضع بعدئذ نفسها بنفسها •

درس في الدولة اللبنانية

دفاعا عن الوطن

الفوضى السياسية والأدارية في الجمهورية اللبنانية

« الطبيب الأمين يصارح المريض بأسباب دائه وأسباب شفائه . ولكنه إذا رأى من الضروري أن يكتم المرض عن المريض لأسباب نفسانية فأنه يفعل ذلك ولكنه يعالجه معالجة صحيحة تتفق مع مرضه الحقيقي، وإلا فان الطبيب يحمل المريض على اكتافه إلى القبر »

بيروت ١٣٦٥ هـ. – ١٩٤٦ م

الكلمة الأولى

في الصيف المنصرم نشرت كتيبا مثل هذا سميته « دفاعا عن العلم » ، عرضت فيه لنقد برامج التعليم في الجمهورية اللبنانية ولسيئات تلك البرامج ٠ وقد قلت يومذاك : « ان الحكومة الحاضرة ليست مسؤولة عن سيئات الماضي ولكنها مسؤولة عن استمرارها » ٠

واليوم أنشر هذا الكتيب الجديد « دفاعا عن الوطن » ، واخص به الكلام على سياسة الدولة اللبنانية في الحقلين الداخلي والخارجي مبينا سيئاتها ودالا على مواطن الضعف ، وهي فيما أرى امور :

١ ـ ان رجال الحكم عندنا يرتجلون امورهم ارتجالا ، أو يقومون بتلك الامور انسياقا مع تيارات داخلية أو خارجية ٠

٢ ـ ان هذه التيارات التي تملي على الدولة معظم سياستها تقضي في أكثر الاحيان بأن « يسترضى » أولئك الذين يخشى من جانبهم شرا ، أو يخشى هبوب الريح من نحوهم ٠

٣ ـ ليس للدولة اتجاه واضح ، فنحن لا نعلم مثلا اذا كانت هذه الدولة طائفية أو علمانية . انها طائفية لان وظائفها موزعة على أساس الطائفية ، ولانها تترك بعض رجال الدين يصرحون باسمها في مناسبات كثيرة من غير أن تزجرهم ، ثم هي علمانية اذا اعتبرنا انها لا تتجه اتجاها دينيا مكشوفا ، ولان المسؤولين من رجالها يدعون في كل مناسبة الى نبذ الطائفية والى التمسك بالقومية ٠

وغاية هذا الكتيب الاشارة الى ذلك كله ببعض التفصيل ٠

ع ٠ ف

٢٢ ربيع الثاني ١٣٦٥
٢٦ آذار ١٩٤٦

تمهيدات

١ - حُبّ الوَطَن ...

نحن نحب لبنان لان لبنان وطننا ولان حب الوطن من الايمان . لقد أحببنا من قبل أرض لبنان لاننا ولدنا عليها وتحت سمائها الا اننا لم نكن يومذاك نحب دولة لبنان لانها كانت دولة مستعمرة مستضعفة ، فلم تكن لغتها لغتنا ولا كان علمها علمنا ولا شعورها شعورنا ولا حكامها رجالنا ولا جيشها أبناءنا ، فلم نكن نرفع يومذاك علمها ولا ننشد نشيدها ولا نحتفل بعيدها .

وفي عام ١٩٤٣ جاء الحق وزهق الباطل واستقلت دولة لبنان فأخذنا نحب تلك الدولة بعد أن كنا نحب أرضها ، فرفعنا علمها الجديد وبدأنا نتغنى فيها بالنشيد وسفكنا في سبيل الدولة دما لم نكن نبذله من قبل الا في سبيل الارض وحدها .

ولكن لبنان الذي أحببنا من قبل أرضه ثم أحببنا من بعد دولته ليس لبنان الضعيف ولا لبنان البخيل ولا لبنان الضيق الصدر ولا لبنان المستعبد ، ولكنه لبنان القوي ولبنان الكريم ولبنان الرحب الصدر ولبنان الحر .

وان دولة لبنان التي أخذنا نحبها من جديد لم نحبها لانها تمثل قرى معدودة وأسرا محدودة ، ليست في التاريخ غير نزاع اقطاعي وتزلف للمستعمر، بل لانها تمثل لبنان كله وأهله جميعهم وعقلية حرة وثقافة استقلالية . ثم لانها تريد أن تحكم لبنان لمصلحة لبنان ، لا أن تحكم لبنان كله لمصلحة نفر قلائل في قرى قليلة تعشعش فيها العقلية الاقطاعية .

ان هذا الوطن الذي نحبه لا نحبه لانه يجب أن يكون وطنا لفلان أو لفلان

من الذين أنزلتهم الايام على سفوح جباله ، بل لانه وطن أولئك الذين جبلوا ترابه بعرق أبدانهم وسقوا أرضه بدمائهم وحفظوا استقلاله الصحيح ببذل أرواحهم ٠

لقد أخذنا بحب دولة لبنان حينما أعلن رئيسها ووزراؤها ونوابها انهم آمنوا باستقلال لبنان وبحريته ، ولانهم اعتبروا لبنان مستقلا سياسيا استقلالا تاما لا شائبة فيه ، وانهم اعتبروه قبل ذلك ــ بل قبل كل شيء ــ قطرا عربيا له ما للاقطار العربية وعليه ما على الاقطار العربية جمعاء وفي سبيل جميع العرب على السواء ٠ لقد أعلنوا ان العرب اخوة ولكنهم أصبحوا كثارا لا يمكن أن يضمهم بيت واحد فسكنوا في بيوت متفرقة ، غير ان ايمانهم القومي واحد وهدفهم واحد وعملهم واحد وأملهم واحد ، ثم ان حياتهم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدولية أيضا يجب أن تكون واحدة ، وان الجميع يجب أن يسعوا حتى يجعلوها واحدة ٠

على مثل هذا عاهدنا رجال لبنان يوم رضينا أن نسفك دمنا نحن في تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ ، على مثل هذا عاهدونا هم يوم اعتصم بعضهم في جبال بشامون ، وعلى مثل هذا عاهدناهم يوم اعتقل بعضهم في قلعة راشيا ٠

ولقد عاهدونا كلهم على أن يتبعوا سياسة صافية بيضاء لا ملتوية ولا سوداء وعلى هذا النور سرنا وسنظل سائرين ٠

نحن الفينيقيون ، لان الفينيقيين جاءوا من بلاد العرب واستقروا على طول هذا الساحل من جنوبي يافا الى شمالي اللاذقية ، نحن السكان الاصليون لاننا نتكلم اللغة التي لم تعرف هذه البلاد لغة قومية أقدم منها ٠ نحن اللبنانيون لان التاريخ قد نسي العام الذي جئنا فيه الى لبنان ، ثم أخذنا نتلقى فيه اخواننا الساميين العرب موجة موجة فنتذاكر العهد القديم ونتقاسم السراء والضراء .

نحن سرنا وراء حكومة لبنان لان حكومة لبنان دخلت جامعة الدولة العربية مختارة طائعة مؤمنة بهذا التعاون العربي الشامل كما أراده باسمنا فخامة رئيس الجمهورية ، ووقعه باسمنا وفدنا في الاسكندرية ، وأقره بالاجماع مجلس النواب اللبناني ، وان العدول عن ذلك أو التجاهل له خيانة للوطن

وخيانة للاخاء العربي ٠ وليذكر الناس ان الذين حفظوا استقلال لبنان ليسوا بعض الذين يتربعون اليوم على كراسيه ويتنعمون بخيراته ويتشدقون بأوهام في رؤوسهم ، بل أولئك الذين سارت دبابات المستعمر على أجسادهم في طرابلس وبيروت وصيداء ٠ ويجب أن نعلم نحن في لبنان أنه لولا غضبة البلاد العربية لمحنة لبنان ، ولولا اخواننا في مصر والعراق والحجاز لذهبت تلك الدماء الزكية هدرا كما كانت تذهب من قبل ، ولظل لبنان مستعمرة يحمل أبناؤه على تنفيذ رغبة الاجنبي بأسنة الحراب !

ليس لبنان وطنا للخور أسقف انطوان عقل يقول عنه وفيه وباسمه ما يشاء ، وليس لبنان لذوي النزعات الشخصية أو المشبوهة ، ولا للذين يحبون المستعمر لانهم تعلموا حبه أطفالا وتوهموا نفوذه ظلالا ، ولكنه وطن للاحرار الاباة الذين غسلوا عار الاستعمار في جميع أدوار التاريخ بدمائهم ٠

هذا هو لبنان الجديد وبهذا يجب أن يؤمن شعبه ولهذا يجب أن تعمل حكومته ٠ وليعلم الجميع ان السواعد التي بنت استقلاله لا تزال موجودة قوية ، وان الصدور التي حمت حريته لا تزال عامرة بالايمان ، وحب الوطن من الايمان ٠

٢ - الوطن المريض

نحن نعيش في وطن مريض ٠

أمراض وطننا كثيرة ، منها ما هو داخلي أصيل ومنها ما هي خارجي طارىء ٠

قد يقول بعضهم انظروا الى مصايف الجمهورية اللبنانية المنتشرة في الجبال والى طرقات الجمهورية اللبنانية المتشعبة من بيروت ، والى أسواق بيروت ، والى الاغنياء الذين يبنون الدور والقصور ، والى السيارات الفخمة التي تقف عند كل باب ، والى الولائم التي يتدفق فيها الترف ٠ حينئذ نقول لهم انظروا الى بعض قرى الجنوب والى بعض قرى البقاع والى بعض قرى الشمال حيث لا تجد ماء يشرب ولا طريقا تصل بين قريتين ولا كهرباء تنير تلك البيوت المتداعية ولا علما يضيء تلك العقول المغمورة في ظلام الجهل ٠

لا تكون البلاد زاهرة حتى تزدهر كلها · ان الرجل لا يكون صحيحا اذا كانت احدى رجليه قوية والثانية ضعيفة ، والاعمى لا تنفعه دقة سمعه ولا صحة جسده ولا سرعة جريه ، ذلك لانه ذو عاهة تحرمه كثيرا مما يتمتع به غيره من الاصحاء حقا · وكذلك البلاد لا يغني عنها أن يكون فيها عشرة مترفون في خضم من الفقراء البائسين · ولا عشرة أصحاء في مجموع من المرضى وذوي العاهات ·

وأمراض وطننا تختلف عن جميع أنواع الامراض في العالم :

أولا : لانها أمراض كثيرة ،

ثانيا : لان أطباءنا لا يريدون لها الشفاء ·

هذا ما سأبسطه في الصفحات التالية · ولقد عزمت على أن أبسطه بصراحة ووضوح ·

انني أعتقد ان الوطن لا يسير في طريق مستقيم ، ولا يستقر في مكان أمين · واذا زعم زاعم ان ما أعتقده انما هو تشاؤم فقط ، قلت له : انه تشاؤم ، ولكنه تشاؤم صحيح ، ذلك لان كل انسان يشكو من حالة هذا الوطن ، حتى الذين يتمتعون بكل خيراته ويتحكمون في جميع أبنائه · وليس في الجمهورية اللبنانية رجل لا يشكو حتى فخامة رئيس الجمهورية نفسه ، فقد قال في خطابه الى المغتربين في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٥ : يخاطب المهاجرين اللبنانيين في العالم :

« نريد أن نبلغكم اليوم في عهد الاستقلال رسالة العهد الجديد للبنان ·· عهد تضافرت فيه الايدي واجتمع في رعيل واحد المحمدي والمسيحي ولم يبق خارج حظيرة البلد المستقل سوى فئة ضئيلة لا يقام لها وزن أمام اجماع الامة ···

أجل انهم فئة ضئيلة ، ولكن قليل الشر كثير !

ان كل واحد منا يعلل هذه الشكوى تعليلا خاصا · غير انك تشعر وأنت تقرأ بعض التعليلات المصطنعة ـ التي يدلي بها رجال الحكم وبعض أرباب الصحافة ـ ان السبب الحقيقي معروف ، ولكن هؤلاء الذين سميناهم يؤثرون ألا يصرحوا به ·

أما العلاج الناجع فيتألف من أربع كلمات :

١ ـ القضاء على الفوضى الداخلية ·

٢ ـ ايجاد اتجاه سياسي واضح ·

٣ ـ انصاف المواهب في جميع عناصر الشعب على السواء ·

٤ ـ هجر السياسة السوداء ·

وهكذا جئت أنا لاصرح ببعض ذلك على هذه الصفحات · والدافع على ما أفعل انني اريد أن يعرف هذه الاسباب غير الذين يحتكرون معرفتها ثم يستغلون كتمانها في سبيل شهواتهم في الحكم والمال والجاه . ولعل بعضهم يقول : ولكن ما الفائدة من الكلام ؟ ـ ان جوابنا على ذلك : ما الفائدة من السكوت ؟

والحقيقة ان السكوت يفيد أفرادا معدودين ، أما الكلام فيفيد الناس كلهم ·

وسأحاول في هذه الصفحات التالية أن اعالج وجهين من وجوه مرضنا في الجمهورية اللبنانية :

١ ـ الجهاز الخارجي والتمثيل السياسي ·
٢ ـ الجهاز الداخلي في الادارة والوطنية ·

٣ - الاتجار بالطائفية

هنا تتجمع جراثيم مرضنا الوطني : أو قل : الى هنا وجه الاجنبي المستعمر جميع جهوده ، لبث التفرقة بين أبناء الوطن الواحد ! ان الاستعمار لم يبدأ في لبنان عام ١٩١٨ ، بل بدأ يوم نزل أول أجنبي على هذه الارض المقدسة متنكرا في ثياب الصلاح ليمهد الطريق أمام تجار قومه وجنود امته وثقافة بلاده · وما دام من المستحيل أن يقع بلد ما فريسة للاستعمار الا اذا كان بلدا ضعيفا مضطرب العقيدة مقطع الاوصال ، فان « طلائع الاستعمار » هؤلاء لم يجدوا وسيلة أجدى عليهم من أن ينقلوا جراثيم الطائفية الينا حتى

يستطيعوا تفريقنا حينئذ باسم الدين ٠ ولقد وجد هؤلاء مع الاسف نفرا منا استناموا اليهم والى « دعاتهم » اعتقادا أو اتجارا ٠

وهكذا لم تصبح الطائفية في لبنان « شعورا » فقط ، بل أصبحت شعورا حينا ومصلحة حينا آخر ٠ لقد أصبح كل من يحمل تذكرة لبنانية يعتقد ان انتسابه الى هذه الطائفة أو تلك معناه نيل هذا المنصب أو ذاك ، معناه نيل مساعدات مالية أو اجازات تصدير واستيراد ، معناه ما يعرفه الناس كلهم ولا حاجة بي الى تعداده كله ٠

غير اننا لم نقنط ، ذلك لان الشباب لم يتلوث كله بعد « بالمصالح والمناصب » التي خلقها الاستعمار ٠

الوطن فوق المناصب وفوق الاموال ، واني لن احاول أن افسر الطائفية بالمناصب ، لانني لا أعتقد ان « الغنيمة » أن ينال هذا المنصب أو ذاك شاب مسلم ٠ لا ، ولكني أعتقد ان المسلمين جزء كبير من سكان هذا الوطن ، فيجب ألا يوجه اليهم اهمال ولا ازراء ، بل يجب ألا يثور في نفوسهم شك بمثل ذلك ، وانني آسف أشد الاسف لان كثيرا من أعمال رجال الحكم عندنا – مسلمين ونصارى – قد اتبعوا هذه السياسة عمدا واحتجوا لها بحجج مختلفات ، ولكنهم مخطئون ، لا لانهم جاءوا بغير المسلمين لان غير المسلمين أعظم كفاءة ، بل لانهم جاءوا بأكثرهم استرضاء لهم ٠

وأنا وان كنت لا أنصح لشاب مسلم أن يربط مستقبله بوظيفة في دولة سكانها مليون نفس وميزانيتها تسعون مليون ليرة ، فانني اريد منه اذا اختار أن ينصرف عن الوظائف أن ينصرف عنها وهو يشعر انه يفعل ذلك بارادته لا لانه حيل بينه وبين الوظائف بأسباب ظاهرة شتى وسبب حقيقي واحد ٠

وهكذا نجد بوضوح ان خطيئة الحكومات اللبنانية انها لم تدخل في جهازها السياسي والاداري مواطنين في الدرجة الاولى بل « محترفين » ٠

أما ان الطائفية مضرة وان مشاكل هذا الوطن يجب أن تحل على غير أساس الطائفية ، وان القومية هي علاجنا الوحيد ، فهذا ما نحن ، الشباب المسلمين ، مقتنعون به كل الاقتناع وموقنون به كل الايقان ومعتقدون به كل الاعتقاد ، ولكن :

قولوا ذلك للخوراسقف انطوان عقل الذي ذهب الى أميركة « ليبشر » بين المهاجرين اللبنانيين « بالذعر الطائفي » ٠

قولوا ذلك للمطران مبارك الذي يقول في كل مناسبة ان جميع الطوائف (ويقصد الطوائف المسلمة) لاجئة الى جبل لبنان .

قولوا ذلك مرة ثانية للمطران مبارك الذي يحاول في كل خطاب أن يفرض شفاعة مار مارون على جميع اللبنانيين ، كأن اللبنانيين هم الموارنة فقط ٠

قولوا ذلك لجريدة البشير ٠

قولوا ذلك لفلان الذي ما يزال واقفا حجرة عثرة في سبيل اكتساب الاكراد للجنسية اللبنانية مع انهم ما يزالون هنا منذ مطلع عهد الانتداب ، بينما هو يمنح هذه الجنسية لجميع اللاجئين الآخرين « غب النظر » ٠ بل ان هنالك جماعة منحوا هذه الجنسية ولم ينظروا بعد شجرة من أشجار لبنان ٠

قولوا ذلك للمبشرين الذين يطوفون بلادنا ويعملون جهارا على خداع الناس لحملهم على ترك دينهم بالملاينة وبقوة السلاح أحيانا (راجع تفصيل ذلك في كتابي : دفاعا عن العلم) ٠

قولوا ذلك لمدارس الارساليات الاجنبية التي تبث في نفوس بعض اللبنانيين ما هو أشد من السم الزعاف ٠

قولوا ذلك لموظفي النفوس الذين زعموا ان طائفة بعينها قد زادت عشرات الالوف في مدة لم يزد أبناء غيرها الا بضعة عشر ألفا – ثم اسألوهم عن غايتهم من ذلك ٠

قولوا ذلك لفلان الذي يريد أن يمنع قرية بأسرها من أن تشرب ماء ٠

قولوا ذلك للذين يدسون الدين في الدولة عند كل مناسبة ٠

قولوا ذلك لكبار موظفي المعارف الذين يوزعون في كل عام المساعدات المالية فيخصون مجموعة من الطوائف بأربعة أخماس المبلغ الموزع ، ويدفعون

لجميع الطوائف المسلمة خمس ذلك المبلغ ، فاذا سئلوا سبب ذلك ، قالوا لك من غير أن يفكـروا أو بعد أن يفكـروا : ان المسلمين يذهبـون الى المدارس الرسمية فاذا قيل لهم : ولماذا لا يذهب التلاميذ النصارى الى المدارس الرسمية؟ سكتوا !

قولوا ذلك للذين وضعوا اسس الدولة اللبنانية على الطائفية وحدها ٠

★ ★ ★

بعد هذا قولوا لنا من ذا الذي يحمل الطائفيـة على لسانـه وفي قلبه معولا يحاول أن يهدم به سيادة هذا الوطن ؟ أليسوا هم الذين يتاجرون فـي الوطن باسم الدين ، وهم أفراد قلائل لا مجمـوع الشباب في هـذه البلاد ؟ أيجوز أن يقف الشباب المتوثب الى خدمة هذا الوطن معسكرين متعاديين حتى يتمكن بضعة أفراد أو بضع مئات من الافراد من أن يعيشوا عيشة كسل وان يتغذوا بأشلاءالشباب ؟

اننا نرجو الذين يدعون الى نبذ الطائفية أن يتوجهوا بدعوتهم وتوسلاتهم الى هؤلاء الذين ذكرناهم ، والاتصال بهم سهل لانهم قليلون ٠ أمـا الشباب المسلم فانه قد أعطى البرهان الحقيقي على احتقار الطائفية ٠ واذا أردتم أنتم البرهان فارجعوا الى أسماء الذين استشهدوا في تشرين الثاني عـام ١٩٤٣ تجدوا انهم جميعهم مسلمون ، ثم استعرضوا الذين فازوا بمغانم الاستقـلال في الداخل والخارج تجدوهـم أفرادا كانوا ينعمون أيضا من قبـل بخيرات الوطن ، وتجدوا الشباب المسلم خاصة قد اشترى الاستقلال بدمه ثم وقـف بعيدا ينظر الى خيرات البلاد نهبى ٠٠٠ فاذا هو ينشد مع عنترة :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك   ان كنت جاهلة بما لم تعلمي ؟

يخبرك من شهد الوقيعة أنني   أغشى الوغى واعف عند المغنم !

على ان الشباب المسلم الذي ولد مفطورا على حب الاستقلال قد ضحى ذلك، وهو مستعد أن يضحي أكثر من ذلك ولكن على شرط واحد، على شرط أن يحب جميع اللبنانيين الاستقلال .

أنا لا أقول هذا رئاء الناس ولا خداعا لقومي وبني قومي كلهـم علـى السواء ، ولكنني أعتقد أننا اذا اشترينا الاستقلال الصحيح ببعض المناصب

كنا نحن الرابحين الفائزين ٠ على أنني أود أن انبه على أمر مهم جدا : يجب ألا نقف من أنفسنا موقفا يجعلنا ضعافا ، لان ضعفنا المادي والروحي ، سيجعل استقلال لبنان ــ ذلك الاستقلال الذي ندافع نحن عنه بأموالنا وأنفسنـا ــ عرضة للخطر ٠

ليس في العالم وطن يمكن أن ينبني على « طائفية ضيقة » ولكن ليس في العالم أيضا وطـن يمكن أن يقـوم على « اهمال لاحـد عناصره » ولا على « استغلال لاحد نواحية » ٠ في العالم أوطان كثيرة فيها مذاهب مختلفة ــ من دينية وسياسية واجتماعية ــ ولكن الدولة هنالك مبنية على الكفاءة بصرف النظر عن المذهب ، ولكن ليس معنى ذلك ان الغرم يجـب أن يقع على أحـد الطرفين ٠

ان منشأ الطائفية في لبنان وجود « رجال دين أجانب » ، هؤلاء هم الذين يزرعون التباغض ويغرسون التنازع ويتعهدونه بالسقيا والتسميد والتشذيب حتى تتمكن جذوره في هذا الوطن ، فاذا ضعف هـذا الوطن سهل عليهم هـم أن ينالوا مآربهم منه ٠ هؤلاء هم محنة هذا الوطن فاقطعوا أيديهم عن أن تمتد الى بث التفرقة بيننا ، وردوهم الى بلادهم فبلادهم أحق بعبقريتهم وبراعتهـم من بلادنا ٠

أيها المسؤولون في لبنان :

ليست قضية الشباب اليوم قضية وظائف، فأصحاب الاعمال الحرة أيسر أعمالا وأعظم ثراء ، ولا هي قضية طائفية ، (فان من الخير للشباب ألا نتكلم عن الدين عندهم) ، ولكن القضية قضية حب للاستقلال وكره للاستقلال ، هي قضية وطنية وخيانة :

ان الرجل الذي لا يحب الاستقلال خائن ٠

وان الرجل الذي يكره الجلاء خائن ٠

وان الرجل الذي يمالىء الصهيونية خائن ٠

ذلك لان الدولة اللبنانية المستقلة الحرة تحب الاستقلال وتريد الجلاء وتحارب الصهيونية في صلب منهاجها السياسي ٠

أيها المسؤولون في لبنان :

أيجوز أن نبقى في هذا الوطن الصغير فريسة لنفر استغلوا الطائفية من قبل في سبيل خدمة المستعمر ، وهم لا يزالون يصرون على ان يخدموه بها في المستقبل ؟

اننا نحن ننشىء في المدارس طلابا يؤمنون قبل كل شيء بأن الوطن مجتمع قومي ، فهل يجوز أن يظل هؤلاء ينشرون سمومهم وتعصبهم في قلب هذا الوطن ؟

ان في لبنان قوما اشتروا استقلال هذا الوطن بدمائهم ، وهم مصرون على أن يحافظوا على هذا الاستقلال ·

٤ مكمن الخطر ومداه

الجمهورية اللبنانية دولة مستقلة اليوم (في نطاق الاحوال الدولية الحاضرة) · على ان كل دولة مستقلة محتاجة الى أنواع من الضمان لحفظ استقلالها · والضمان الاول في كل دولة اتفاق أبنائها · ولا حاجة الى تبيان فوائد الاتفاق ومضار الخلاف . فالخطر الحقيقي اذن ان يعود لبنان مستعمرا بعد أن أصبح مستقلا ، أو أن يعود « متصرفية » مثلا بعد أن أمسى دولة · وبكلمة اخرى ، ان قضيتنا هي أن نظفر بالاستقلال تاما أو أن نخسره · ولا ريب أبدا في ان اتفاق جميع السكان يؤدي حتما الى تمكين الاستقلال في الارض · أما الخلاف فيؤدي حتما الى استبقاء الاستعمار ·

أما درء الخطر فلا يكون الا بالقضاء على عقلية « الجزع الطائفي » الذي يتظاهر به بعضهم · ان في الجمهورية اللبنانية شريكين يجب أن يثق بعضهم ببعض ويحترم بعضهم بعضا حتى تربح تجارتهما · وان أقل شك يتسرب الى نفس أحدهما كاف لبوار تجارتهما كلها !

٥ أين يرجى الإصلاح

حينما تتعاقد أنت ونجار ليصنع لك بابا وتدفع له ثمنه أو أجره ثم لا

يصنع لك الباب ، فالنجار يعمل عملا يعاقب عليه القانون ·

وكذلك العامل والصانع يتناولان أجرا ليقوما بعملهما ·

والمحامي يتناول أجره ليدافع عن حقك ·

والمعلم يتناول أجره ليعلمك العلم ·

والطبيب يتناول أجره ليهيء لك أسباب الشفاء ·

وعلى هذا القياس يأتي رجال الحكم الىمقاعدهم ليقوموا بخدمة الشعب لقاء أجر يتناولونه على عملهم · فيجب على الحكام أن يبحثوا عن وسائل الاصلاح ويقوموا بها كما يقوم النجار والمحامي والمعلم والطبيب والمهندس بأعمالهم · فان قبضوا المال ولم يقوموا بالاصلاح كان شأنهم شأن ذلك النجار ·

والامور التي تحتاج الى اصلاح في هذا الوطن ـ هذا الوطن الذي اتفقنا على انه مريض ـ كثيرة ، بعضها يحتاج الى عناية مستعجلة ، وهو ما سنعالجه على الصفحات التالية ·

ان أول ما يفعله رجال الحكم في بلادنا حينما يعتلون أرائك الحكم ويتربعون في دسوته ويستريحون الى كراسيه أن يتوجهوا الى الصحافيين والاساتذة والتجار بقولهم : « اننا نعتمد عليكم في تسيير دفة الاحكام » .

أجل ، ولكن يجب أن يعتمدوا عليهم الى حد ، ان للعامل عمله الذي يستغرق أيامه كلها وللاستاذ عمله الذي يستوعب وقته جميعه ··· ولكن رجال الحكم ليس لهم عمل الا الحكم ، فهم الذين يجب أن يقوموا بالقسط الاوفر من الاصلاح ·

الفصل الأول

الجهاز الخارجي والتمثيل السياسي

نبدأ بالكلام على السياسة الخارجية لان جميع الوزارات – في عهد الاستقلال – قد اعترفت بأن الادارة الداخلية فوضى ، ثم انها اعترفت أيضا بأن هذه الفوضى ناتجة من ارضاء فلان دون فلان ، وارضاء أقوام دون أقوام . ذلك لانهم كلهم أدركوا ان في لبنان معسكرين : معسكرا يؤمن بالاستقلال وايمانه هذا اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان ، ثم معسكرا آخر – وعلى الاصح جزء من معسكر آخر – يتظاهر بالاستقلال حبا بجر المغانم ومجاراة لشعور يغمر الامة ، ولكنه يخاف من عواقب الاستقلال باطنا ، فالاستقلال حرمان له من مغانم داخلية واعانات خارجية .

فالعبقرية تقضي اذن – في رأي سادتنا رجال الوزارات أن تهمل رغبات المعسكر الاول . ورغبات أكثر المعسكر الثاني أيضا ، ذلك لانهم هؤلاء كلهم على كل حال استقلاليون بالفطرة وبالمثل الاعلى ، ومهما قسوت عليهم فأنهم لن يتبدلوا بحب الاستقلال شيئا آخر ، ولو ظلموا ، هؤلاء على حد تعبير بعض الوزراء – « في الجيب » . من أجل ذلك لا تجد الدولة ترضي المعسكر الاول ، ولا جميع المعسكر الثاني أيضا ، بل تحرص على ارضاء تلك الفئة التي تخشى الشر من نحوها ، تلك الفئة التي يتوازن الاستقلال أو الاستعمار عندها بمناصب واعانات تجعل للاستقلال فضلا على الاستعمار أو تجعل للاستعمار فضلا على الاستقلال . هؤلاء الذين يقولون بكل صراحة : اما أن تعطونا أنتم واما أن تسمحوا لنا أن « نتناول اعانات من مصادر اخرى ليس من الضروري

ان نصرح بها » . ولكنهم في الحقيقة يتناولون من هنا ومن هناك ومن هنالك أيضا .

وهنا يتنهد وزراؤنا الاستقلاليون ويقولون :

ومتى تم الجلاء التفتنا الى الحقل الداخلي وأجرينا الاصلاح اللازم . دعونا أولا نعمل على زوال الاستعمار . ثم اطلبوا منا ما تشاءون .

ولكن دعنا نسأل نحن وزراءنا هؤلاء هذه الاسئلة :

١ – متى يمكن لهذا الاستعمار أن يزول ؟

٢ – ما الخطوات التي خطوها الى الآن لازالة هذا الاستعمار ؟

٣ – هل تكفل سياستهم في التعيينات الخارجية (والداخلية أيضا) تحقيق الاستقلال الصحيح ؟

٤ – ما الدور الذي قام به وفدنا في مؤتمر الامم المتحدة في لندن . ثم ما العمل الذي عمله في باريس ؟

أما السؤال الاول فالجواب عليه بسيط . ما دامت الدولة ترضي الذين « يخافون من الاستقلال » بزيادة عددهم في وظائف الدولة ، فان الاستعمار لن يزول . وكيف يمكن أن يزول وهؤلاء الذين تملكونهم زمام الدولة كانوا « يعيدون للاستقلال » في أول أيلول ويشربون نخب المفوض السامي ونخب القومندان ترابو والجنرال فاندنبرغ والمسيو كايلا من حكام لبنان . ثم ظلوا يعيدون بعيد الاستقلال حينما « حل المفوض السامي الفرنسي » مجلس النواب وعلق الدستور من عنقه .

وأما الجواب على السؤال الثاني فأسهل . ثم أنا لا اريد الاطالة فيه لحاجتي الى التبسط بعد ذلك . على انه لا بد من الجواب : ان حكومة الجمهورية اللبنانية قد خلقت أعظم المظاهر للاستقلال ولكنها لم توجد اسسا صحيحة يقوم عليها الاستقلال .

ونأتي الآن الى السؤال الثالث . وفيه أعظم الشر ، وفيه الحاجة الى التبسط .

ان جميع الحكومات التي توالت في هذا العهد ـ هذا العهد الذي أحببناه دائما واعتقدنا انه فعلا عهد الاستقلال ـ قد أعلنت في كل بيان وزاري ألقته « ان لبنان ذو وجه عربي وانه سيتعاون مع الدول العربية الى أقصى حدود المعاونة » وما يشبه ذلك من الكلام ، حتى ان رئيس الجمهورية نفسه أعاد ذلك مرارا ، فآمنا به لان رئيسنا المجاهد قد قاله ٠

وبينما نحن نسمع من الحكومات هذا القول اذا بنا نراها تسكت عن الذين يصرحون في كل مناسبة بأن لبنان ليس عربيا وان صلته بالبلدان العربية يجب ألا تختلف أبدا عن صلته بأسوج والصين وحكومة الكونغو البلجيكي ٠ ثم تسمع منظمة الكتائب اللبنانية تقول في كتيب صغير هو شذرات من ميثاقها : « ٠٠٠ ونرفض الاخذ بأي وجهة نظر تقول بأمة عربية من عناصرها الشعب اللبناني ٠ ان اللغة الواحدة (ويقصدون اللغة العربية هنا) عامل تقريب ولكنها ليست عامل توحيد ٠٠٠ » فلا تقول هذه الحكومة شيئا ٠ وهذا تقوله الكتائب في « شذرات » من ميثاقها ، فما بالك بما تقوله في ميثاقها المفصل ٠

ان هذا الذي تقوله منظمة الكتائب وهي تمثل كثرة أو قلة معينة ينتج أمرين : أمرا نظريا وأمرا عمليا ٠ أما الامر النظري فهو تهاون الكتائبيين بسياسة الدولة العليا ، لان الدولة نفسها قد تهاونت بسياستها ٠ وأما الامر العملي ، وهو المهم في الموضوع ، فأنه سيدفع الاكثرين الذين رضوا بأن يضعوا للعروبة « تعريفا جديدا » وان يتنازلوا عن امتيازات كثيرة وعن حقوق شتى ليجعلوا بعض اخوانهم في الوطن ـ وهم فئة قليلة ـ يؤمنون على الاقل بهذه « العروبة المختصرة » ، سيدفع هؤلاء الى أن يعودوا الى « التعريف الاول » ، الى « العروبة المطلقة » على ما نصت عليه قواميس اللغة وتاريخ الوطن العظيم ، بل الى ما نصت عليه تربيتنا التاريخية التي جعلت منا قوة في ميزان الامم ٠

ان الوطن لا يضره صغره ولا يزيد في حبه كبره ، ولكنني حينما أرجع الى نفسي فأجد انني تحولت عن وطن كبير طائعا مختارا لاقرن حياتي المادية بوطن صغير على أن يكون حرا ثم أرى ان بعض سكان هذا الوطن الصغير يأبون علي امتيازاتي وحقوقي أيضا أجد فعلا في نفسي غصة ٠

أنا اريد أن نبحث في أساس عقيدتنا القومية ٠ اننا عرب ، نتكلم اللغة العربية ونشعر الشعور العربي ونتنشي بالادب العربي ونعتز بالثقافة العربية٠

من أجل ذلك وجب أن تكون دولتنا عربية ٠ ولقد أعلنت الجمهورية اللبنانية هذه السياسة ٠ وعلى ضوء هذا الاعلان حملنا العلم اللبناني الجديد ، وأخذنا ننشد النشيد اللبناني القديم ٠ وكل من لا يؤمن ايماننا خارج عن عقيدتنا وعن عقيدة الدولة اللبنانية ٠

هذه العقيدة معناها ما يلي :

هنالك امة عربية واحدة عاشت بلغتها وأدبها وثقافتها ، وبمذاهبها المختلفة أيضا ، منذ أقدم الازمنة التاريخية ولا تزال الى اليوم تؤدي رسالتها في الحياة ٠ وهكذا نرى ان هنالك « عربا » في العراق وعربا في مصر وعربا في سوريا وعربا في الحجاز وعربا في لبنان وعربا في اليمن وعربا في تونس وفي الجزائر ومراكش ٠٠٠٠ هؤلاء العرب أمة واحدة ولكن لا تسعهم أرض واحدة ، فهم يسكنون بلادا متعددة ، الا أنهم يشعرون شعورا واحدا ٠

أما صلتي بالعربي الذي يعيش في العراق ومصر والحجاز والمغرب الاقصى فصلة أخ لا اعاديه ولا اقطعه ولا احاربه ولا أضن عليه بشيء من ذات يدي ولا من ذات نفسي ، كما انه هو أيضا يفعل ذلك كله ٠ وكل ما يفرق بيني وبينه انه يعيش في بلد آخر ، فهو لا يتدخل في ادارة دولتي كما ان ابن صور لا يتدخل في ادارة بلدية بيروت ٠ ولا يستطيع أن يتدخل في انتخاب نائب عن مدينة بيروت ٠

كنت احب أن أقف هنا ، ولكن صدر اليوم (في ١٥ آذار ١٩٤٦) بيان مشترك عن منظمتي النجادة والكتائب خيب أمل المخلصين في البلاد ، وقد نقدته جريدة الديار وجريدة العهد نقدا عاقلا فدلتا ـ وهما على حق ـ بأن الذين اجتمعوا من أعضاء المنظمتين اجتمعوا ليلهوا الشعب عن حقيقة موقفه : لقد تعرض البيان كما تقول الديار الغراء لكل قضية لا قيمة لها في البلاد ، واغفلت القضايا المهمة . وما دامت الصحافة قد تناولت هذا البيان فاحب أن اصرح أنا ـ وأنا لست نجادا ، ولا كتائبيا طبعا ـ بما يلي :

١ ـ ان الكتائبيين قد أرادوا حينما اجتمعوا بالنجادين « أن يتركوا البحث في اساس العقيدة القومية » لانهم لا يؤمنون بالعروبة على انها جزء من الكيان اللبناني (وهذا ظاهر في ميثاقهم) ٠

٢ ـ انهم لم يريدوا أن يتعرضوا لقضية الجلاء ٠

٣ ــ انهم لم يريدوا أن يبحثوا في الامور الخارجية ، بل قصروا همهم على انتقاد الجهاز الداخلي انتقادا غير رام الى اصلاح • ان كل ما رموا اليه أن يخلقوا مشاكل جديدة للحكومة الحاضرة • ان بيانهم كان « مناورة سياسية » تحاول أن تزعزع مركز الحكومة القائمة • أما تحديد السياسة فلم يتعرضوا له •

وهكذا نجد ان هذا « البيان المشترك » لا يعبر عن رأي أحد من الذين يحبون الاستقلال مجردا عن الاشخاص الذين يسيئون الى الاستقلال : نحن نطلب من النجادة والكتائب على السواء أن يرفعوا القناع عن حقيقة أهدافهم ، وأن يصدروا في هذه الحقبة العصبية بيانين منفصلين فيهما الامور الاربعة التالية :

أ ــ أعربي لبنان أم غير عربي ؟

ب ــ ما موقف المنظمتين من الجلاء ؟ ــ واننا ليبلغ منا العجب أشد مبلغه حينما نجد النجادة والكتائب يتناسون قضية الجلاء ، وهي قضية البلاد الوحيدة اليوم وقد أهمل البيان البحث في قضية الجلاء عمدا لان أحد الجانبين قد رغب في ذلك •

ج ــ يجب أن تسمى كل منظمة « الفئات » التي يحق لها التجنس بالجنسية اللبنانية ، يجب أن نسميها بأسمائها الجغرافية والتاريخية والدولية والشخصية أيضا •

د ــ ما نوع السياسة الداخلية التي يريدها النجادة والتي يريدها الكتائب ؟ اننا اذا قررنا « أساس العقيدة اللبنانية من الناحية القومية » هان علينا أن نأتي الى الموظفين فنزيل الذين لا يثبتون على الامتحان بأهون سبيل ومن أهون طريق •

والواقع ان النجادة والكتائب تكلمتا في بيانهما المشترك بالرمز ، وكان كل واحد منهم وهو يساوم صاحبه على كل جملة من هذا البيان يعلن شيئا ويضمر شيئا آخر • ليس هذا تنبوءا ولكن « البيان المشترك » يقول ذلك بلسان وشفتين •

أيها النجادون ، أيها الكتائبيون ــ ان الفوضى التي يتخبط بها لبنان ،

والتي ستتسع مع الايام انما هي وليدة سوء الظن بين أبناء الوطن ، ونتيجة كلام لا محصل تحته • لنفرض ان الحكومة لم تأبه لهذا البيان (لانها لا تعرف ما فيه ، فهو مكتوب بلغة العصافير وهي حتى اليوم لم تأبه له) ، فما تزعم المنظمتان أن تفعلا ؟ ضعوا النقاط أولا على الحروف ثم تعالوا نتفاهم • كلنا يشكو من حال لبنان ولكن كل واحد يشكو منه على صورة مخصوصة •

اننا نتحدى المنظمتين ونطلب منهما اعلان موقفهما :

١ ــ من الجلاء ،

٢ ــ من الاتجاه العربي للدولة اللبنانية ،

٣ ــ من قضايا الجنسية •

الى هنا كنت أستنتج للقارىء استنتاجا ، بأن ثمة نفرا لا يحبون الاستقلال ولا يريدون أن يجلو المحتلون عن لبنان ، ثم أجمع ذلك من القرائن المختلفة • ولكن جاء أخيرا البرهان اللامع والدليل القاطع ، فقد حضر البطريرك الماروني حفلة أقامتها مدرسة عينطورا (الافرنسية) يوم الثلاثاء في ١٩ آذار ١٩٤٦ لمناسبة عيد شفيعها القديس يوسف ، وكان في الحاضرين الجنرال بينه وجمهور من الموظفين والضباط الفرنسيين • وقد مثل الاستاذ جورج حيمري الحكومة اللبنانية في هذا الاجتماع • ولما استوى المدعوون حول مائدة الطعام نهض البطريرك الماروني والقى (باللغة الفرنسية) كلمة نقلتها جريدة الحياة (الخميس ٢١ آذار) عن جريدة البشير ، جاء فيها ما نصه كما نقلته جريدة البشير الى اللغة العربية :

« وما معهد عينطورا هذا سوى ظاهرة واحدة من مظاهر الروابط الوثيقة التي تربط فرنسا بلبنان والخدمات الجلى التي أداها رجال فرنسا نحو وطننا المحبوب فيقضي الواجب باعلان هذا الجميل والمجاهرة به • بل اني أذهب الى أبعد من هذا فأقول : ان الاستقلال الذي نتمتع به الآن انما هو وليد الجهود التي جادت بها فرنسا منذ أن قدمت هذه البلاد برسالتها الانسانية ••• فنحن لا يمكننا نكران هذا الجميل ، بل اننا نخالف الذين يطالبون بجلاء الجيوش الفرنسية عن بلادنا •

••• وبما ان وجود هذه الجيوش عندنا لا يتنافي مع الاستقلال ، فاننا

نشجب شجبا عاليا أولئك الذين يصرون على المطالبة بجلاء القوات الفرنسية عن بلادنا ٠ وفيما (نحن) نجاهر برأينا هنا نعرف اننا نعبر عن رأي الاكثرية الساحقة من عقلاء البلاد ورجال الوطنية الصادقة » ٠

ولا ريب في ان هذا الخطاب أثار ضجة كبرى من أجل شيء واحد : ذلك اننا عرفنا أخيرا وعلى وجه القطع تلك الجهة التي كانت تعرقل مفاوضات الجلاء ٠ ومع ان بعض الصحف قد أرادت أن تدافع عن البطريرك وتنسب التزوير في الخطاب الى جريدة البشير ، فاننا نريد أن نثبت النقاط التالية ٠

١ ـ نحن لا نشك في وطنية بعض الجرائد التي أحبت أن تلقي تبعة التزوير في خطاب البطريرك الماروني على رجال جريدة البشير وحدها ونخص بالذكر من تلك الجرائد جريدة النهار (بيروت بتاريخ ٢٣ و ٢٤ آذار) المشهورة بوطنيتها ٠

٢ ـ يجب ألا ننكر ان البطريرك ألقى هذا الخطاب ٠ وهب ان « البشير » زورت بعض الكلمات فهل يمكن أن تكون قد زورت موضوع الخطاب من أساسه ٠

٣ ـ ان البطريرك لم يكذب ما نشرته جريدة « البشير » الا بعد أن ضجت به الصحف ٠ ثم ان رد البطريرك كان ردا غير مقنع ٠

٤ ـ هنالك قرائن سابقة واقتناع وجداني بأن بعض هذا صحيح ٠

٥ ـ نحن نعتقد بأن رجال الدين لا يجوز لهم أن يتعرضوا للقضايا السياسية ، ذلك لاننا اليوم في عهد اختصاص ، فالسياسة ليست من اختصاص هؤلاء ، والدليل على ذلك هذه التصريحات التي يلقونها ويلقون بها الشعب اللبناني في هذه البلبلة ٠ ان هنالك وفدا يفاوض وحكومة تشرف على مفاوضات الجلاء ، ثم ان هنالك وزراء ونوابا وشبابا وطنيين عملهم في الدرجة الاولى سياسي ، كما ان عمل رجال الدين ديني ، وديني فقط ٠

اننا نحترم رجال الدين ونجل مقامهم لانهم رجال دين ، أما اذا نزلوا الى معترك السياسة بالتصريحات أصبح حكمهم حكم رجال السياسة وصرنا ننقد آراءهم كما ننقد آراء غيرهم على أساس قاعدة الجدال المشهورة : « مناظرك

نظيرك ! » اننا نحترم كل انسان لرأيه ولرأيه فقط ، والرأي يكون صوابا أو يكون خطأ بالاضافة الى نفسه فقط لا بالاضافة الى قائله ٠ وبكلمة ثانية : نحن نحترم الاشخاص لآرائهم التي تستحق الاحترام ، ولكننا لا نحترم الآراء الخاطئة حتى ولو جاءت من مقامات وأشخاص نحترمها في الاصل ٠

ولقد أحسن « المؤتمر الوطني » صنعا حينما قدم لفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية مذكرة (جريدة الديار البيروتية في ٢٩ آذار ١٩٤٦) تشجب تدخل رجال الدين في السياسة وتشير صراحة الى حديث المطران مبارك عن الصهيونية ، والى التهم الخاطئة التي أحب أن يلصقها سيادته بفخامة الرئيس ليسيء الى اللبنانيين في شخص رئيسهم ويسيء الى القضية الوطنية بالتفريق بين أبناء الوطن الواحد باسم الدين ٠

وأغلب الظن ان رجال الدين سيفهمون ذلك بعد اليوم على الاقل : ان لكل دولة رئيسا واحدا فقط وهيئة واحدة مسؤولة ، ثم ان جميع التابعين لتلك الدولة ليسوا سوى أفراد متساوين في الحقوق والواجبات وفي ابداء الرأي ٠ على ان آراءهم يجب أن تعتبر كلها شخصية ٠ فان كانت جيدة قبلت على وجه النصيحة ، وان كانت خاطئة عوملت بما تستحقه من الاهمال والنقد والمهاجمة والعقاب أحيانا ٠ ان الردود الكثيرة على تصريح البطريرك وعلى المطران مبارك فيما بعد كانت استفتاء حرا قام به اللبنانيون وأجمعوا على ان رجال الدين يجب ألا يتدخلوا في السياسة ٠

ان الديمقراطية ليست الديمقراطية السياسية فقط بل هي الديمقراطية الفكرية أيضا : اننا نستضيء بالفكر الجيد بصرف النظر عن مقام صاحبه الاجتماعي أو المالي أو السياسي ، ونمر بالرأي الخاطيء غير مبالين ، بصرف النظر أيضا عن مقام صاحبه الاجتماعي أو المالي أو السياسي ٠

وما كدنا نتفق على صرف خطاب البطريرك حتى طلع علينا المطران أغناطيوس مبارك ببيان أدلى فيه لجريدة « بالستين بوست » يرحب فيه بالوطن القومي اليهودي في فلسطين ويتكلم بالوحدة والاتحاد ٠ ثم خطب في كنيسة مار جرجس مرارا مرددا نغمات طائفية بغيضة ومهددا بأنه سيلقي خطابا آخر بعد اسبوع آخر ٠

وقد أرادت جريدة النهار الغراء (٢٣ و ٢٤ آذار) أن تمحو اساءة المطران

مبارك بعد اعترافها الضمني بأنه أساء ، فنشرت شهادة المطران يوحنا الحاج أمام لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية بشأن فلسطين ٠ وقد توجتها بهذا العنوان الجميل :

« هذا صوت الموارنة الصحيح » ٠ والشهادة فعلا جميلة تؤيد عرب فلسطين مسلمين ومسحيين في مطالبهم العادلة و (تطلب أن تعلن انكلترة) وقف الهجرة (اليهودية) وقفا تاما و (ان) تعلن استقلال فلسطين ٠ هذه الشهادة في مجموعها تتفق مع سياسة الدولة ومع رغبة فخامة رئيس الجمهورية ٠

نحن لا يمكن أن ننكر فضل المطران يوحنا الحاج في هذه الشهادة ، ولكننا نتساءل فقط عن المانع الذي يمنع رجال الاكليروس الماروني من الاتفاق فيما بينهم قبل أن يدلوا بتصريحات متناقضة :

هل يريدون الاستقلال كلهم ؟ ـ هل يطلبون الجلاء كلهم ؟ ـ هل يؤيدون عروبة فلسطين كلهم ؟

ألعل بعض رجال الدين لا يؤمنون بالمستقبل ، فهم من أجل ذلك يمسكون بسياسة مزدوجة : يقبض فريق منهم على أحد طرفيها ويقبض الفريق الثاني على الطرف الآخر ؟

أنا شخصيا أعتقد ان في رجالالدين نفرا لا يقلونوطنية عن أشدنا وطنية، ولكني آخذ على هؤلاء انهم يتركون الآخرين منهم يتكلمون كما يشاءون ٠ يجب أن يكون لرجال الدين على الاقل سياسة موحدة !

واحب هنا أن أثبت لك تصريح المطران مبارك الذي أدلى به سيادته الى جريدة « البالستين بوست » كما نشرته جريدة آسية الغراء (بيروت ، ٢٧ آذار ١٩٤٦) ٠ تاركا للجريدة المذكورة مقدمتها التي قدمت بها التصريح ومحتفظا بالشكل الذي اختارته هي : قالت جريدة آسيا :

هذا هو النص الحرفي الكامل لتصريح المطران مبارك

كما ورد في جريدة « بالستين بوست »

نقل التصريح المنسوب الى سيادة المطران مبارك في « بالستين بوست » غير كامل وجاء متدخلا بأشياء عدة ، وأعلن سيادته ان الحديث محرف ونحن نصدق ان الحديث كما اطلع عليه هنا بالعربية وباقتضاب لم يكن كما نشر تماما ، ونصدق ان المنشور ذاته جاء محرفا ، الا اننا كنا نود لو ان سيادته عين النقاط التي جرى فيها التحريف ، وان لا يكتفي بالاشارة للتحريف بل بنفيه كله وبتكذيبه رسميا وباقامة الدعوى على المراسل نفسه وسجنه ان أمكن وارغامه على الاعتراف بكذبه ، لا أن يكتفي بالقول ان الحديث نشر محرفا، خاصة وانه كله يتناول قضية خطيرة ٠

واليك الحديث نتفرد بنقله الى القراء بنصه الحرفي الكامل كما ورد في العدد ٥٠٥٦ من « بالستين بوست » تاريخ الجمعة ٢٦ آذار ١٩٤٦ ، وقد نشر على هذا الشكل :

بقلم جيرولد فرانك

مراسل وكالة O. N. A.

بيروت ـ الاربعاء ـ

أدلى سيادة المطران أغناطيوس مبارك ـ رئيس أساقفة الطائفة المارونية في بيروت ـ بحديث خاص موجه الى أهل فلسطين والى العالم ادعى فيه ان لجنة التحقيق الانكليزية ـ الاميركية لم تسمع صوت لبنان الحقيقي ولا الرأي العام عندما استمعت الى شهادات الشهود في بيروت ٠

وزاد المطران قائلا « لو سمعت اللجنة صوت لبنان الحقيقي لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن مؤازرة العمران اليهودي في فلسطين ومؤازرة الصهيونية

باعتبارها شعارا للتقدم لشعوب الشرق الاوسط كلها » ٠

وهنا يقول المراسل ان سيادة المطران مبارك وهو زعيم الموارنة المسيحيين الذين يشكلون الاكثرية من سكان لبنان قد وجه التهمة بأن هذه الاكثرية غير ممثلة حاليا في الحكومة ٠ وأوضح أيضا ان رأيه هذا هو رأي غبطة البطريرك الماروني الرئيس الروحي للموارنة في العالم وقال ان غبطته كثيرا ما أعلن عطفه على اليهودية العالمية والصهيونية ٠

وزاد المطران مبارك قائلا : ان لجنة التحقيق قد سمعت فقط أشخاصا انتخبتهم الحكومة وقالوا الذي طلبت منهم الحكومة أن يقولوا ٠ واني أتهم رئيس جمهوريتنا بأنه لم يعط رأيه الحقيقي عن الصهيونية لانه يخاف من الجامعة العربية وهو (أي رئيس الجمهورية) يعتقد عكس ما يقول وقد قلت له ذلك أنا بنفسي ، والحكومة الحاضرة ما كانت لتصل الى الحكم لولا مساعدتي فقد جلبت تأييد المسيحيين لرئيس الجمهورية الذي أتهمه الآن انه لم يوضح شعوره الحقيقي للجنة التحقيق ٠

« ان تقدم لبنان مربوط بتقدم فلسطين ونحن اللبنانيون المسيحيون (كذا) نعلم ذلك وندرك ان الصهيونية تأتي بالتمدن لفلسطين وللشرق الاوسط كله ، واني متحمس جدا للصهيونية ، لاني احب الخير لفلسطين واذا أحببتم أن تماشوا رغبات العرب المسلمين ، فهؤلاء يرغبون في السيطرة على البلاد وفي طرد المسيحيين منها ٠ واني أقول لكم بصراحة انكم اذا قاومتم الصهيونية في فلسطين فان ذلك يعني ارجاع الشعب الى حكم الهمجية وارجاع البلاد الى حالة الفوضى والبرطيل كما كانت أيام حكم سلاطين بني عثمان » ٠

ولما عظمت الضجة على المطران مبارك بادر الى الادلاء بتكذيب قال فيه (جريدة التلغراف البيروتية بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٤٦) :

« لم أطلع على التصريح ولا وقعته » ٠٠٠٠

ويظهر ان الجريدة هي التي تابعت الكلام عن المطران مبارك فقالت :

« والذي نعلمه ان المراسل (تعني مراسل البالستين بوست) هو داعية صهيوني ٠٠٠٠ ولهذا فلا غرو ان هو اغتنم هذه الفرصة للدس والانتقام والمبالغة في نقل الاخبار والاحاديث وتشويهها » ٠

من هنا نعلم :

١ ـ ان المطران مبارك أدلى بالتصريح المسيء الى فلسطين ٠

٢ ـ ان مراسل البالستين بوست لم يعد ويرفع التصريح الى المطران مبارك ليوقعه في شكله الذي وضعه فيه المراسل ٠

٣ ـ ان أساس الموضوع صحيح ولكن المراسل « بالغ » فقط ٠

على ان هنالك ما هو أهم من ذلك كله : هو ان المطران مبارك « نشر تصريحه بالانكليزية في فلسطين يوم كانت لجنة التحقيق في فلسطين » ثم « نشر التكذيب بالعربية في بيروت بعد أن غادرت لجنة التحقيق البلاد العربية الى اوروبة » ٠

قد يمكن أن نعتقد ان الحديث الى « البالستين بوست » مبالغ فيه لولا ان ثمت تفاهما بين بعض المعسكرات على القبول بتهديد فلسطين ورفض المقاطعة الصهيونية ، مما تراه منشورا في جريدة « العمل » (جريدة الكتائب اللبنانية) ٠ ثم ان بيار الجميل رئيس الكتائب اللبنانية قد صرح لمناسبة وجود لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية بشأن فلسطين بأنه يأسف لمقاطعة الصهيونية لانها تجلب على لبنان في رأيه أضرارا اقتصادية بالغة ٠ وصرح « بأنهم » قبلوا المقاطعة مرغمين ، وانه لو ترك لهم الخيار لما قاطعوا الصهيونية (راجع جريدة التلغراف بتاريخ ٢ نيسان ١٩٤٦) ٠

ومما يؤكد التفاهم على اثارة الطائفية تصريح جديد للمطران مبارك أدلى به لجريدة التلغراف وأوجزته جريدة العهد (٣٠ آذار ١٩٤٦) ٠ قالت جريدة العهد مستشهدة بجريدة التلغراف :

« ثم أعلن سيادته أيضا للتدليل على رغبته الحادة في المحافظة على وحدة اللبنانيين أنه لا يحرك ساكنا ازاء تعيين المسلمين في الوظائف معربا عن تسامحه العظيم في قبوله بأن يتناول رجال الدين المسلمون مرتباتهم من خزينة الدولة » ٠

بمثل هذه الروح يريد المطران مبارك أن يدعو الى وحدة الصفوف ٠ على ان الشباب المخلص في لبنان لن يهتم بما يقوله المطران مبارك لسببين ، أولهما

ان الحاضر لنا والمستقبل لنا أيضا · وثانيهما ان المطران مبارك قد يتراجع غدا كما تراجع بالامس · وسننقل الموازنة التالية لمواقف المطران مبارك عن جريدة النهضة (٣٠ آذار ١٩٤٦) :

سيادة المطران مبارك

١٩٤١ - ١٩٤٥ - ١٩٤٦

١٩٤١

جاء في الزميلة « الاحرار » بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٤١ ما يلي :

المطران مبارك يدعو الى الالفة والاتفاق

ويطري عهد الخلفاء العرب الراشدين

يلقي سيادة الحبر الجليل المطران أغناطيوس مبارك عظة دينية مساء الجمعة من كل اسبوع في الكتدرائية المارونية ببيروت بمناسبة الصوم المبارك يتناول فيها مختلف نواحي الحياة بما عرف عنه من البلاغة والفصاحة ·

وفي العظة التي ألقاها يوم الجمعة الماضي عرض للعلاقات التي كانت قائمة بين الموارنة والخلفاء العرب فدعا المسلمين والنصارى الى التآخي والاتفاق في سبيل المصلحة العامة فقال :

ـ لا تظنوا يا اخوتي ان عهد الخلفاء العرب في بدء الدين الاسلامي كان عهد تعصب ضد المسيحيين ، فان الخلفاء كانوا متدينين حقيقة وكان دينهم يحملهم على العطف ومعاملة المسيحيين بالرفق وقد وجد عدد كبير من المسيحيين في خدمتهم سواء كان في قصورهم أو في المقاطعات المختلفة الخاضعة لهم ، وكان الخلفاء يتركون للمسيحيين الحرية التامة في ممارسة دينهم ، وآباؤنا الموارنة هم أكبر شاهد لهذا التفاهم لانهم عاشوا في لبنان خمسمائة سنة تحت سيطرة الخلفاء العرب على أنحاء سوريا ، وكانوا ينعمون باستقلالهم

النوعي تحت حكم بطريركهم وأمرائهم وبالحرية التامة لممارسة واجباتهم الدينية ·

أما التعصب الذميم الذي استولى على أبناء هذه الديار فقد تأتى فيما بعد عندما قل الدين في القلوب ، فالدين هو عبادة الله ومحبته وكلام القديس يوحنا المحبوب في رسالته هو كلام الحق فقد قال : « من يدعي انه يحب الله ولا يحب قريبه فهو كذاب » ·

فأدعوكم اليوم يا مسيحيين ويا مسلمين ـ ويا حبذا لو كان صوتي يصل الى آذانكم جميعا ـ أدعوكم الى التآخي والاتفاق لاجل مصلحة الوطن العزيز · فليعبد الله كل واحد منكم كما يؤمن ويعتقد وليترك الحرية لغيره كي يعبده حسب اعتقاده وايمانه ، واعقدوا الخناصر سوية بالمحبة والاتفاق لاجل خدمة المصلحة العامة التي لا يمكن أن تتم بدون الاتفاق بين سائر أبناء الوطن » ·

١٩٤٥

وجاء في الزميلة « النهار » بتاريخ ١٠ شباط ١٩٤٥ ما يلي :

الاحتفال بعيد القديس مارون

ـ من خطاب المطران مبارك ـ

ثم وجه الكلمة الى معالي رئيس الوزارة والنواب قائلا :

نريد منكم أن تحافظوا على هذا الاستقلال محافظة على تقاليد الآباء والآجداد ، واني أقول لجيراننا : ان استقلالنا هذا والمحافظة عليه لا يمنع اتفاقنا على المصالح المشتركة مع الجيران ·

واني أرجو أن يجمع أبناء لبنان على اتحادهم محافظة على تقاليد أجدادهم وأن يعودوا الى التحابب والاتفاق الذي ساد في القرن الماضي لسوء الحظ بسبب المداخلات الاجنبية فحدثت تلك الامور المؤلمة ·

ودعا جميع الطوائف الى التساهل ونبذ العنعنات والتعصب الديني الذي يجب أن يطلق عليه اسم التعصب اللاديني ·

١٩٤٦

أما في عام ١٩٤٦ فله تصريحه الشهير للجريدة الصهيونية « بالستين بوست » ••• وفي كل عـام لـه مفخرة ••• ! (انتهى ما نقلنـاه عن جريدة النهضة) •

★ ★ ★

أما الذين ينفخون في رماد الطائفية ليحرقوا البلاد ـ اذا استطاعوا ـ فهم معروفون موصوفون ، خذ مثلا ابراهيـم سليم النجار صاحـب جريدة اللواء البيروتية الذي يريد أن يجعل « بيروت عاصمـة مسيحية » • قـال ابراهيم النجار :

« ان بعض القائلين بهذا العهد الجديد غير مخلصين للبنان ـ هذا اذا كنا لا نقول عنهم انهم كارهون له ـ فقد تجاهلوا وتناسوا وجوده • فهم لا يعترفون بلبنان ، ولا يذكرونه في كتاباتهم وأقوالهم لا بكثير ولا بقليـل ، واذا ذكروه فمقرونا بكلمتي العرب والعروبة الجامعتين • واللبنانيون المخلصون يريدون لبنان لبنانيا خالصا ذا طابع خاص بـه يختلف ويتميز بـه عن طوابع جميع البلاد العربية لا يفقد فيه خاصته وميزاته اللبنانية ، ولا ينسي طابعه المسيحي القديم الذي عرف وامتاز به طيلة عصور طويلة ماضية ، واشتهر وتميز به في العصر الحديث ، اذ أصبحت عاصمته مركزا لكردينال مسيحي هو أمير من امراء الكنيسة ، وهو الكردينال الوحيد في الشرق كله ، وعاصمة لسبعة بطاركـة يعتبرون مرجعا لسبعين اسقفا مسيحيا بحيث أصبحت في الشرق علنا وجهرا عاصمة للمسيحية بعد رومة عاصمة الكثلكة في الغرب » •

اللواء ـ العدد ١٥٠٤ ـ الجمعة ٢٩ آذار سنة ١٩٤٦

وقد ردت جريدة العهد (٣٠ آذار ١٩٤٦) على ابراهيم النجار ردا مفحما وتساءلت ، وهي على حق ، عن مجلس الامن الداخلي الذي أنشىء في لبنان ، لاية غاية انشىء اذا لم ينشأ لمثل هذه الاحوال !

نحن لا نستغرب ذلك فان هنالك سياسة مدبرة يقوم بهـا أولئك الذين وزعوا بالامس كتيبا اسمه « وطن قومي للنصارى في الشرق الادنى » • هـذه السياسة المدبرة دبرها وأدارها نفر أجانـب استأجروا لها نفـرا يعيشون في لبنان • هؤلاء النفر هم الذين لا يريدون أن يتم الجلاء عن أرض الوطن حتى لا

ينقطع رزقهم الجاري من مجاري المستعمرين هنيئا مريئا لهم •

ان هذه الطائفية العمياء التي يريد فلان وفلان أن يثيروها لن تثور ، ذلـك لان الشباب العاقل سيد الموقف اليوم وغدا • وان هذه الصيحات التي تتعالى من بعض الافواه تسر المستعمر فقط ، والشباب العاقل المخلص لن يؤخذ بهـا أبدا• ان هذا الشباب متفاهم فيما بينه على الاستقلال وعبثا يحاول «الطائفيون» أن يهدموا هذا الاستقلال !

ثم يأتي السؤال الرابع : ما العمل الذي قام به وفدنا في مؤتمر الامـم المتحدة في لندن ، ثم ما العمل الذي عمله في باريس ؟

أما وقد وقع الوفد اللبناني اتفاق الجلاء في باريس (٢٢ آذار ١٩٤٦) فيجب أن نتناسى جميع الاخطاء الفقهية ونعتبر ان الاعمـال بخواتيمها ، وان لبنان قد ملك الطرف الاول من زمامه فعليه أن يمسك بالطرف الثاني أيضا • وأحب أن انبه الافكار الى بعض الاخطار :

١ ـ يجب أن نتابع جهادنا متحدين حتى ينتهي الجلاء تماما •

٢ ـ يجب أن يكون هذا الجلاء كليا لا جزئيا •

٣ ـ يجب أن نحمل جميع قوى الاحتلال على الجلاء ، حتى الذين لا يلبسون البزة العسكرية •

٤ ـ هنالك مؤسسات أجنبية اقتصادية وثقافية قد مهدت للاحتلال ، هـذه يجب أن تجلو عن البلاد أيضا •

٥ ـ هنالك نفر قلائل أو كثار لا يريدون الجلاء فعلى الحكومة أن تعاملهم كما تعامل الدول التي تحترم نفسها أمثال هؤلاء •

٦ ـ والاخير في الترتيب لا في الاهميـة ، يجب أن تكـون النهاية الحقيقة البعيدة نهاية خيـر ، ولا يجـوز أن نكتفي بالاعتمـاد على توقيع اتفاق الجلاء• لا يجوز لنا أن نتعنت ونقول : لا نعترف بهذا الجلاء حتى نرى آخر أثر للاستعمار قد زال ، ولكن لا يجوز أن نخدع أنفسنا ونعترف بالجلاء الذي لن يتم الا بعد تسعة أشهر كاملـة في قولهم ، وقـد تخلق الدول الكبرى في تسعة أشهر ما يجعل الارض غير الارض • ان الذين وصلوا

الى هذه النتيجة من الجلاء يستحقون شكرنا ، ولكننا لا نعد مهمتهم قد انتهت ولا انهم هم قد تحرروا من التبعة التي اختاروا أن نلقيها ــ بحقوقها وامتيازاتها ــ على عاتقهم ٠

أما التعيينات في وزارة الخارجية وفي السلك الدبلوماسي فاترك الكلام عليها للجرائد ٠

★ ★ ★

ثم ان وزارة الخارجية تقدم اليوم على عمل شاذ في تاريخ الدول كلها : انها تريد أن تعيد الى المغتربين الذين هم من أصل لبناني حق التمتع بالجنسية اللبنانية من جديد مع احتفاظهم بالجنسيات التي اكتسبوها . وهذا يعني ان اللبنانيين الذين هاجروا الى أفريقية وأميركية خاصة واكتسبوا الجنسية الاميركية (جنسية الولايات المتحدة) أو البرازيلية أو الارجنتينية أو المكسيكية سيحملون بعد اليوم جنسيتين : جنسيتهم التي اكتسبوها حيث يعيشون اليوم ، والجنسية اللبنانية ٠

هذا عمل لا يجوز قانونا لاسباب أهمها :

أ ــ لا يجوز لاحد أن يحمل جنسيتين في وقت واحد ، لان ذلك يلقي على عاتقيه تبعات مختلفة أحيانا ومتناقضة في أكثر الاحيان ٠ فكثيرا ما تكون طاعة دولة (حتى في أيام السلم) افتئاتا على حقوق دولة اخرى ٠ أما في الحرب فالمشكلة واضحة : ان ازدواج الجنسية يعتبر خيانة وطنية لاحدى الجنسيتين أو لهما كليهما ٠

ب ــ يشترط في المغترب اذا أراد الاحتفاظ بجنسيته الاصلية :

١ ــ ألا يكتسب جنسية جديدة ، لان كل انسان أحب أن يكتسب جنسية جديدة فأول واجب عليه أن يخطر دولته الاولى بالاستغناء عن جنسيتها ٠

٢ ــ ان يدفع جميع الضرائب لبلاده الاصلية كما لو انه كان مقيما فيها ٠

٣ ــ أن يزور بلاده الاصلية مرة كل أربع سنوات على الاقل على أن يكون مكثه في كل مرة عاما واحدا على الاقل ٠

٤ ــ أن يكون اغترابه مؤقتا ، وأن يقيم الدليل على ذلك بألا ينهج في غربته مسلكا يفضي به مع الايام الى الاستيطان حيث هو ، كالزواج من أجنبية وكانشاء المتاجر والمصانع التي تفضي الى الحيلولة بينه وبين العودة الى وطنه نهائيا ٠

٥ ــ القيام بالخدمة العسكرية لبلاده الاصلية ٠

حينئذ يتمتع هذا المغترب بحماية دولته له ويتمتع بحق الانتخاب النيابي على شرط أن تستطيع دولته أن تهيء له أسباب انتقاله اليها أو تستطيع نقل صناديق انتخاب خاصة على بواخرها هي الى البلاد التي يسكنها المغتربون ٠

ج ــ على ان هذا يفتح بابا عظيما من الشر على لبنان : حينما يسمح لبنان للمغتربين من أبنائه بالاحتفاظ بجنسيتهم الاصلية مع امكان اكتسابهم لجنسيات اخرى ، فانه يفسح بذلك المجال أمام بعض الدول ذات المطامع في لبنان لان تسمح لبعض رعاياها بأن يكتسبوا الجنسية اللبنانية شكلا ٠ ثم ان الجمهورية اللبنانية لا تستطع أن تمنع صاحب الجنسية المزدوجة من أن يميل بهواه الى حيث يشاء ٠ فلو فرضنا ان اسبانيا تجنس بالجنسية اللبنانية مع احتفاظه بجنسيته الاصلية ، ثم نشبت حرب بين اسبانية ولبنان ، فان لبنان لا يستطيع أن يحرم هذا الاسباني اللبناني من حقوق المواطنين اللبنانيين لانه لبناني وكذلك لا يستطيع أن يمنعه من أن يميل بهواه الى اسبانية لانه اسباني٠

ان هذه السياسة قد أتبعتها المانية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية يوم كانت المانية تسمح لمهاجريها أن يكتسبوا جنسية البلاد التي ينزلون فيها مع احتفاظهم بالجنسية الالمانية ٠ ولا نزال نذكر ــ لقرب العهد ــ تلك المشاكل التي ثارت من أجل ذلك ٠ ان العالم اليوم يجب أن يقبل على سلم صحيح صريح . اننا نرحب باللبناني اذا أراد أن يعود الى جنسيته الاولى ، ولكن لا يجوز أن نقبل منه أن يحمل الجنسية اللبنانية وهو لا يزال محافظا (شكلا أو فعلا) على الجنسية التي اكتسبها حيث يقيم ٠

وقضية الجنسية والهجرة ليست قضية عاطفية ٠ بل هي في الدرجة الاولى قضية اقتصادية ٠ ان الذين هاجروا من لبنان ــ ومن غير لبنان أيضا ــ قد هاجروا ليضربوا في الارض وليبتغوا من رزق الله ، ذلك لان لبنان ــ وهذا ما يهمنا هنا ــ بلد قليل الامكانيات الاقتصادية ٠ فهل فكرنا في مئات الالوف الذين يجب أن يعودوا الى لبنان برؤوس أموالهم ، ماذا يجب أن يفعلوا وأين

يستطيعون أن يوظفوا رؤوس أموالهم • يجب ألا ننسى ان أكثر المهاجرين الذين حملهم الحنين على أن يعودوا الينا كانوا ثلاثة أقسام :

١ ـ القسم الاول وهم الذين جاءوا ليموتوا في وطنهم فقط • فكانوا ينفقون مما أدخروه في المهجر •

٢ ـ القسم الثاني وهم الذين جاءوا تحدوهم الآمال بنهضة اقتصادية في وطنهم ثم خاب أملهم فرجعوا من حيث جاءوا •

٣ ـ القسم الثالث وهم الذين عاندوا الواقع وطمروا في هذا الوطن أموالا جسيمة وهم اليوم يعضون أصابعهم ويقرعون السن ندما •

وهنا موضوع ملاحظة : ان القيود على الهجرة تشتد يوما بعد يوم ، واذا عاد المهاجرون الينا ، ثم وجدوا ان الضرورة الاقتصادية تدعوهم الى الرجوع الى مهاجرهم ، فانهم لن يستطيعوا • وهكذا نكون نحن قد خلقنا أزمة اقتصادية داخلية لن تزول أبدا •

ولكن لماذا يريد لبنان أن ينهج هذه السياسة ؟

يريد لبنان أن ينهج هذه السياسة ليعيد الجنسية اللبنانية (شكلا فقط) الى فريق من المهاجرين ليزيد عدد طائفة هذا الفريق : ثم يمكن هذه الطائفة من زيادة نوابها هي في المجلس النيابي • وقد شعر بذلك كل الناس حتى ان جريدة « التلغراف » البيروتية نشرت في عددها رقم ٢٧٢ الصادر بتاريخ ١٨ و ١٩ شباط ١٩٤٥ ما يلي :

« نقل الينا أحد المخبرين خبرا يتناول احصاء السكان في لبنان ، وقد لاحظنا انه (أي هذا الاحصاء) حمل الينا عن حسن نية وقد تضمن أرقاما لفئة من المغتربين دون فئة اخرى ، وعلى هذا فنحن نتنصل منه لانه يحمل طابعا طائفيا نحن أبعد الناس عنه » •

هذا يدل بلا ريب على ان قضية منح الجنسية اللبنانية للمغتربين يعني زيادة عدد طائفة معينة شكلا حتى تكثر مقاعد هذه الطائفة في المجلس النيابي • ولكن ما الغاية من ذلك ما دام كل انسان في لبنان يحمل على الطائفية أو يتظاهر على الاقل بالحملة عليها ؟

اذا كان أولي الامر يريدون نشر الاطمئنان في نفوس اللبنانيين حتى يحافظ لبنان على استقلاله وسلامته فلماذا يلجأون في الخفاء الى هذه السياسة السوداء ويزفون الطائفية في أكفانها لتروع الناس في كل مكان ؟

نحن نشجب الطائفية في كل خطاب وننعي سيئاتها في كل مناسبة ثم نأتي اليوم في عهد الاستقلال ونبني أعمالنا عليها . ان هذا يهدد مستقبل استقلالنا أكثر من كل شيء آخر • ليحذر كل اللبنانيين الاحرار عواقب « الطائفية » لان الطائفية مطية الاستعمار وأقوى عناصر الانفجار ـ والعدل أساس الملك •

والغريب انه بينما تقوم منظمة الكتائب في لبنان بدعاية عريضة وتضغط بوسائل مختلفة على الحكومة للاكثار من « تذاكر النفوس الاختيارية » ، وذلك بأن يحمل المهاجر اللبناني جنسية لبنانية ثم جنسية برازيلية أو ارجنتينية أو مكسيكانية أو أميركية أو سنغالية فرنسية ، وفي وقت واحد ، تجد الكتائب نفسها تعلن بلسان رئيسها بيار الجميل انها لا تقبل أبدا بايجاد « قومية عربية » بين بلدان جامعة الدول العربية (جريدة التلغراف ، ٢ نيسان ١٩٤٦)•

ان « القومية العربية » لا تزال اقتراحا غايته اقتصادية بحيث يتنقل العربي بها بين الاقطار العربية التي هي وطنه الاكبر بحرية أكثر نسبيا من حرية الاجنبي • و « القومية العربية » لا تخول العراقي أو المصري أو الحجازي أن ينتخب نوابا عن لبنان ولا أن يتدخل في عضوية البلديات في القرى اللبنانية • بينما هم يريدون من منح الجنسية الاختيارية للمهاجرين اللبنانيين أن يشركوا المهاجرين الاميركيين والمكسيكانيين والبرازيليين الخ •• في الانتخابات النيابية لحيازة أكثرية من نوع معلوم لغاية معلومة •

واذا كانوا « هم » يريدون جعل الجنسية المزدوجة للمهاجرين اختيارية يأخذها من يشاء ، فليتركوا « القومية العربية » اختيارية أيضا يأخذها من يشاء ويرفضها من يشاء !

ولكن حبذا أن يعمد واضعوا التصاريح الى درس الموضوعات السياسية والقومية درسا صحيحا • ان التصريح لا يكتسب القوة « غب التصريح به » ! ثم يجب أن ندرك جميعنا ان قسما كبيرا من اللبنانيين يفهم ما يقرأ •

الفصل الثاني

الجهاز الداخلي والعدل الإداري

الجهاز الاداري في الجمهورية اللبنانية فاسد · أنا لا أحتاج الى أن اقيم البرهان على ذلك فكل جريدة في لبنان تذكر هذا الفساد ، وتنشر أخباره على قرائها · حتى ان منظمتي النجادة والكتائب قد أصدرتا بيانا مشتركا تجعل كل سيئة في لبنان نتيجة هذا الفساد الاداري · وسبب هذا الفساد أشياء :

أولها ـ ان لبنان ينوء بجهاز حكومي فظيع ·

وثانيها ـ ان لبنان قد احتفظ في عهد الاستقلال بالموظفين الذين كانوا يكبلون البلاد بالاستعمار ·

ثالثا ـ ان الدولة اللبنانية تعلن بفمها ثم تؤلف اللجنة بعد اللجنة لوضع برامج تعليم وطنية لهذا الغرض ، ولكن يمر العام أثر العام ونشهد نحن محاولات لابقاء القديم على قدمه ونسمع بامتيازات ثقافية جديدة ، بينما الدولة تطالب بالجلاء · حتى لقد أصبحنا في حيرة حقيقية من أمر هذه الدولة : أنصدق ما نسمع من فمها أم ما نرى من عمل بعض رجالها ؟

أيها المسؤولون ـ ان الجلاء الذي نطلبه ليس جلاء سبعة آلاف جندي بريطاني وثمانية آلاف جندي افرنسي فقط · اننا نطلب أيضا جلاء النفوذ الاجنبي ونطلب جلاء الارساليات والبعثات لانها هي أيضا خطر على الاستقلال·

يجب أن نعلن بصراحة ان هنالك في لبنان قوما لا يريدون الاستقلال ولا يحبون أن يجلوا المستعمر عن لبنان ، ان هؤلاء قلائل كما ذكر فخامة رئيس الجمهورية · أجل انهم قلائل ، ولكن قليل الشر كثير !

ان الخلاف بيننا وبينهم ليس وجود سامي الصلح أو عبد الحميد كرامي في الحكم ولا هو ذهاب أحمد الداعوق الى باريس وكميل شمعون الى لندن · ان القضية الاساسية هي هذه :

ـهل نحن مجمعون على طلب الاستقلال والدفاع عنه ؟

ـ أنريد جميعنا أن يجلو المستعمر عن أرضنا وعن مؤسساتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ؟ ····

أنا لن اضيع بك في ثنايا الفوضى الضاربة أطنابها في الجهاز الاداري اللبناني ، ولكني اريد أن أتبسط في قضايا معدودة فقط ·

مجلس الامن لقد أصبح للبنان جيش ، وهذا معقول جدا · وأصبح له كذلك ادارة للامن العام ، وهذا أيضا معقول · ولكن هنالك مجلسا اسمه « مجلس الامن الاعلى » ، لا يدري أحد ما مهمته ولا ما الغاية منه بعد أن وضعت الحرب أوزارها · هذا المجلس قد أصدر في المدة الاخيرة هذا القانون :

« اجتمع مجلس الامن الاعلى برئاسة وزير الداخلية بالوكالة وبحث في الاجراءات التي تكفل المحافظة على الامن وتحول دون ما يؤدي الى تعكيره والاضرار به وبسلامة الدولة ، وقد قرر :

أولا : أن يحتفظ بحق الاعتقال لدى أول حركة تخل بالامن ·

ثانيا : ان الحوادث التي تخل بالامن مع مسبباتها ومتفرعاتها والتي تنتج عن الاضرابات الممكن وقوعها (كذا) تحال فورا الى المجلس العدلي ·

كنت أود أن أنقل هنا التعليق العاقل الذي نشرته نشرة المؤتمر الوطني بتاريخ ١٦ شباط ١٩٤٦ (في العدد ١٦ من السنة الاولى) ولكن ضيق المجال يضطرني الى ذكر ملخصه دلالة على روحه ، مع ملاحظات جديدة .

أ ـ ان هذا القرار غير قانوني اذ لم تسنه هيئة تشريعية كمجلس النواب مثلا ·

ب ـ لا يجوز حتى لمجلس النواب أن يصدر مثل هذا القانون في أيام

الحرب فضلا عن أيام السلم ٠

ج ـ ان القانون يعاقب على « الاضراب اذا أخل فعلا بالامن » ولكن القانون الذي « يعاقب على النتائج التي يمكن أن تقع لو وقع الاضراب » فشيء غير معروف ٠ وهو ما لم تلجأ اليه حكومات الاستعمار في هذه الديار يوم كان لبنان محكوما حكما مباشرا على رأسه حاكم فرنسي قح ٠

د ـ ان لبنان بلد ديمقراطي كما يقولون وله حكومة جمهورية ، وله دستور ، وله مجلس نواب ، فلا يجوز أن يصدر فيه مثل هذا القانون ٠ بل ان صدور هذا القانون على هذا الشكل هو الدليل القاطع على الروح الاستعماري والاقطاعي على الطائفية المتغلغلة في نفوس بعض الذين أخطانا نحن حينما انتخبناهم نوابا وسرنا وراءهم ٠

هـ ـ ان هذا القانون « حكم عرفي دائم » وانه لمن السخرية أن تجهد الحكومة اللبنانية نفسها لاخراج المعتقلين اللبنانيين من المعتقلات الافرنسية ثم تقوم هي نفسها باعتقال اللبنانيين اعتقالا عرفيا ، من غير أن تذكر لذلك سببا ، بل من غير أن يقوم أحد منا بحركة اللهم الا أن يتخيل أحد رجال هذا المجلس ، مجلس الامن الاعلى بأن زيدا من الناس ربما يقوم باضراب ، وانه ربما نتج عن هذا الاضراب تعكير للامن فيقبض حينئذ عليه ويوضع في السجن كما شاء الله الى ما شاء الله ٠

ما الغاية من اصدار هذا القانون ؟

انني لا أرى لهذا القانون غاية ترمي الى خير الوطن ٠ ان البلاد ـ يا أيها المجلس الاعلى للامن ـ لن تقوم بالاضراب الا احتجاجا على بقاء قوات الاستعمار في لبنان ، فهل يريد مجلس الامن الاعلى أن يعتبر طلب الجلاء عن لبنان اخلالا بالامن ٠

قولوا لنا متى أضرب لبنان ؟

لقد أضرب لبنان من أجل مصر الجريحة اعترافا بجميل مصر يوم ثارت مصر للدفاع عن كرامة لبنان في تشرين الثاني عام ١٩٤٣ ٠ ولقد أضرب لبنان قبل ذلك في سبيل فلسطين ، فلسطين التي قال فخامة رئيس الجمهورية

اللبنانية في شأنها ما يلي : « اننا في لبنان أخذنا على أنفسنا عهدا بالدفاع عنها والنضال في سبيلها ، لان قضيتها قضية حق أولا ولاننا مهددون بتسرب الصهيونية الينا من جنوب لبنان » ٠

وكذلك أضرب لبنان قبل ذلك يوم اعتقل المستعمر حكومة البلاد الشرعية ، انه أضرب اضرابا رائعا يومذاك وطال اضرابه حتى عاد فخامة اللبناني الاول وعماد استقلال لبنان الى مستقره وعاد معه المعتقلون ، وعاد الدستور وعاد مجلس النواب ، بل عاد الاستقلال كله ٠ أعلى هذا يريد مجلس الامن الاعلى أن يعاقب اللبنانيين ٠ أم هل يريد مجلس الامن الاعلى أن يعتبر طلب الجلاء أو الاحتجاج على تهويد فلسطين العربية اخلالا بالامن ؟ ان العالم قد دخل الآن في مرحلة من مراحل السلم ، فهل يجوز أن نستمر نحن ـ الذين لم نر من الحرب شيئا يذكر أو يشار اليه ـ في سن قوانين استبدادية ؟ قوانين لم يسر بها الا المستعمرون بالامس ولا يسر بها اليوم الا أصحاب النفوس التي ألفت الاستعمار ٠

ولسنا نحن الذين نتساءل عن الغاية من هذا القانون فقط ، فلقد فطنت الى ذلك جريدة « الحديث » البيروتية فتساءلت في مقالها الافتتاحي يوم ١١ آذار ١٩٤٦ عن سبب صدور هذا القانون وقالت : « هل هنالك ما يهدد الاستقلال » ؟ ثم تابعت الجريدة القول فقالت :

« لسنا نعلم طبعا ما هي العوامل والظروف التي اقتضت وضع هذا القانون الذي يلجأ اليه عادة في الظروف الاستثنائية كالحروب أو الثورات الاهلية وما شاكل ، اللهم الا اذا كانت هنالك شؤون خطيرة تهدد سلامة الدولة وتدرك أسرارها الحكومة ومجلس الامن الاعلى ، لانه لا يمكن أن تقدم السلطات على سن هذا القانون للاحوال العادية نظرا لما يمكن أن يحدث في النفوس من القلق ، ولما يمكن أن يجر من العواقب الوخيمة على الوحدة اللبنانية اذ يجعل حريات اللبنانيين رهنا لخبر مدسوس ، أو شهوة انتقام » ٠٠٠٠

« وأما اذا أقر المجلس النيابي هذا القانون فلا يبقى علينا الا أن نستأذن حراس الاستقلال بأن ننعي الاستقلال » ٠

★ ★ ★

والحق ان الحكومة اللبنانية لا تسير سيرا حكيما في الامور الداخلية ولا تعمل على توحيد الصفوف ، لانها تسير على سياسة مظلمة الجوانب يكتنفها الغموض • والسبب في ذلك انها تتبع سياستين في وقت واحد •

أيها المسؤولون ، اما استقلال صحيح كالاستقلال الذي تتمتع به روسية والولايات المتحدة ، والا فسموا الاشياء بأسمائها ووفروا على الشعب المسكين نفقات جهاز حكومي فظيع ووفروا عليه بعض الازمات النفسية والخلقية •

★ ★ ★

وليس في الجمهورية اللبنانية عدل اداري وسأتناول هنا قضية واحدة : قضية اكتساب الجنسية اللبنانية :

أ ــ لقد أشرت الى أن الاكراد لم يمنحوا الجنسية اللبنانية مع أنهم هنا منذ مطلع عهد الاحتلال ، وهم مواطنون نافعون يقومون بواجباتهم الوطنية تمام القيام ، ولكن فقدان العدل الاداري هو الذي يحرم عليهم أن يتمتعوا بالجنسية اللبنانية •

ب ــ أعرف أصدقاء يحملون جنسية مغربية (تونسية في الاكثر) وقد سكنوا هذه البلاد منذ زمن طويل حتى ان بعضهم ولد من أبوين ولدا كلاهما في بيروت ، وهم ما زالوا يطالبون باعطائهم الجنسية اللبنانية ، ولكن حكومة الجمهورية اللبنانية ترفض ذلك رفضا باتا •

ج ــ وأعرف طالبا يحمل الجنسية السورية ولكنه يعيش هو وأهله هنا منذ زمن طويل وهو في كل مناسبة يطلب منحه الجنسية اللبنانية والحكومة ترفض ذلك •

د ــ ولعل أغرب ما عرفته الحادثة التالية :

لي صديق لبناني ، ويحمل الجنسية اللبنانية • اتفق ذات يوم ان أضاع تذكرة نفوسه ــ كما يتفق كثيرا ــ فذهب الى ادارة النفوس ليطلب « عوضا عن ضائع » • فلما بحثت الحكومة في سجلاتها علمت أنه لبناني فعلا ولكنه مولود في حلب ، فقالوا له : اذهب الى حلب واطلب تذكرة نفوس •

كل هذا يجري بينما الحكومة اللبنانية هي أكرم دول الارض في منح الجنسية لكل غريب حتى أصبح لبنان فسيفساء جنسية • ثم زادت الحكومة اللبنانية فأرسلت الى بعض وزرائها المفوضين عشرات الالوف من التذاكر البيضاء التي سموها « التذاكر الاختيارية » لكي تمنح لكل طالب من ناحية معينة • وهنالك حوادث « في النفوس » وفي غير النفوس أشد مضاضة على اللبنانيين لا نريد ذكرها لان غايتنا الاصلاح لا التشهير ولا التهديم •

كيف تريد الحكومة أن يزدهر الوطن اذا كانت أبوتها لهذا الشعب الذي يسكن هذا الوطن « أبوة ناقصة » ؟ لماذا تتعمد الحكومة سياسة تسر المستعمر « والعدو » وتغيظ المخلص والصديق ؟

نشرت الجرائد في هذا الاسبوع رغبة الامير شكيب ارسلان في الرجوع الى وطنه • والامير شكيب قد هجر البلاد ليدافع عن الاستقلال وليهاجم الاستعمار في بلد حر • ولقد كان طيلة حياته يناضل المستعمرين • ولكن هل تعرف ماذا حدث ؟ ان الحكومة اللبنانية في عهد الاستقلال هذا لم ترض ــ أو لم تقدر ــ أن ترسل له قطعا أجنبيا ــ بدل أموال يدفعها أهله هنا لا اعانة من الحكومة ــ حتى يتمكن أن يعود الى وطنه الذي أحبه • قف الآن أمام هذا وسل عن الذين يفعلون هذه الفعلة ، أليسوا هم أشد من المستعمر كيدا للبلاد وأهلها ؟ احسبوه يهوديا واسمحوا له بالمجيء الى لبنان فله اسوة بالوف اليهود الموجودين في لبنان ينتظرون تهريبهم اذا استطاعوا الى فلسطين •

وهنالك شرور اخرى من أبرزها أسباغ النعم على أعداء الاستقلال وحرمان المخلصين ــ الا اذاكان لبعض هؤلاء المخلصين سند قوي ••• والحكومة اللبنانية تبني هذه السياسة الغريبة على فلسفة أغرب ، فهي تحرم الوطنيين والاستقلاليين « وترضي الخارجين على سياسة الدولة العليا » • والحكومة تعترف بهذا وتحتج بأنها تفعل ذلك «حتى تجلب أولئك الى الطابق» • وسأضرب هنا مثلا واحدا أنقله عن جريدة الحياة (٣٠ آذار ١٩٤٦) • قالت :

أنجزت لجنة ترقيات مفوضي الشرطة لائحة باسم المفوضين الذين يحق ترقيتهم ورفعتها الى وزارة الداخلية لتصديقها • وهنا نحن ننشر تفاصيلها ، فيدرك منها القارىء العليم أسباب الضجة التي تثيرها التعيينات :

اميل زخيا ٣ درجات • ايلي بصل ٣ درجات • سليم ناصر الدين ٣

درجات ٠ حليم غرغور ٣ درجات ٠ انطوان حنش درجتين ٠ ناصيف صفير ٢ ٠ نسيب أبو شقراء ٢ ٠ سليم سليمان ٢ ٠ محمد علي فياض ٢ ٠ خريستو نفاع ٢ ٠ أحمد منيمنة درجة واحدة ٠ عمر طبارة درجة واحدة ٠

وتبين من هذه الترقيات ان مفوضين اثنين هما أحمد منيمنة وعمر طبارة رفيا درجة واحدة ، مع انه قد مضى على وجودهما في خدمة الدولة ٢٨ عاما كانا خلالها مثال الجد والنشاط والسهر على مصلحة الامن ، هذا فضلا عن مواقفهما الوطنية المشكورة أبان ثورة تشرين وفتنة نيسان ، وهما يرقيان درجة واحدة بينما يرقى — مثلا — من فصل من زملائهما من الوظيفة لمواقفه التي عرفها القاصي والداني درجتين وثلاث درجات ٠

ولا ريب في ان سياسة الحكومة غير واضحة ، وقلة وضوحها دليل على سيطرة العناصر غير الاستقلالية فيها ٠ قالت جريدة « صوت الشعب » بتاريخ ٣١ آذار ١٩٤٦ في معرض احتجاجها على تعطيل الصحف الديمقراطية :

ونتبه معالي وزير الداخلية اللبنانية الى ان هناك قضايا أحوج الى « مرجلته » من تعطيل الصحف الديمقراطية الداعية الى الوئام والائتلاف ٠ هنالك مثلا القضايا الغامضة في الجلاء التي يطلب الشعب جلاءها ، وهناك الجالية البولونية الصهيونية التي تغمغم الحكومة اللبنانية حول وجودها وتجمجم ، وهناك ٠٠٠ وهناك » ٠٠

ولا بد هنا من الكلام على أمرين آخرين : على المركزية الادارية الضيقة وعلى التسبط في انشاء المفوضيات ، لعلاقة ذلك بميزانية الدولة ، وبالتالي بالحالة الداخلية ٠

أما المركزية الضيقة في لبنان فقد خلقت لنا مشكلتين : مشكلة فنية هي عرقلة سير الامور ، ثم مشكلة نفسية هي نفور أبناء الوطن الاكبر من أبناء العاصمة ٠ على ان الدولة يجب أن تعنى أولا بالمشكلة الاولى ٠

ان الحكومة اللبنانية قد جمعت الدوائر المهمة كلها في العاصمة ، في بيروت ٠ وهكذا أصبحت بيروت نفسها تضيق بتلك الدوائر وتضيق بالذين يأتون من سائر انحاء الجمهورية لانجاز أعمالهم الرسمية فيها ٠ ليس في طرابلس ولا صيداء — ولا نتكلم على القرى والبلدان الصغيرة — محاكم استئناف

مثلا ٠ فعلى أصحاب الدعاوى المستأنفة أن يأتوا الى بيروت ٠ ثم إنهم اذا فعلوا وعطلوا أعمالهم في بلدانهم وقراهم وجدوا المحاكم بطيئة والدوائر الرسمية مثالا للفوضى فقضوا أياما في العاصمة يتكلفون النفقات ويتحملون المشقات ٠

وما يقال عن المحاكم يقال عن دائرة الجوازات ، فالذي يريد أن يسافر الى فلسطين من أبناء غير بيروت يضطر الى أن يقضي في بيروت لانهاء معاملة جواز سفره مدة أطول من المدة التي تسمح له بها ادارة الجوازات للبقاء في فلسطين ٠ وكذلك الشأن في الامتحانات الرسمية ، ان ابن النبطية يجب أن يأتي الى بيروت ليقدم امتحان البكالوريا فيقضي في بيروت أياما لاداء الامتحان ثم اسبوعا أو اسبوعين لانتظار النتيجة واداء الامتحان الشفوي وانتظار النتيجة النهائية ٠

ومثل هذا يقال عن الحياة الاقتصادية ، ان كل رخصة للتصدير أو الاستيراد يجب أن تنجز معاملتها في بيروت ، ويجب ألا ننسى ان بيروت أصبحت المركز الوحيد للتجارة الخارجية والداخلية أيضا ٠ ولو انني أحببت أن أمضي في تعداد وجوه المركزية الشديدة في الادارة والتجارة لمضيت طويلا ٠ ولكن دعني أقص عليك شيئا من أخطار هذه السياسة الانانية ٠

١ — ازدحام العاصمة بالسكان والطارئين لغير فائدة كبيرة ٠

٢ — عرقلة الاعمال الادارية ، فان تراكم الاعمال وتشعبها يؤخر انجازها ٠

٣ — تكليف سكان غير أبناء العاصمة نفقات اضافية وتضييع وقت طويل أثناء مكثهم في العاصمة ، مع شلل يصيب أعمالهم في قراهم وبلدانهم ٠

٤ — منع الازدهار الاقتصادي والعمراني في غير العاصمة ، حتى ان لبنان أصبح يشبه حيوانا هزيل الجسم عظيم الرأس ، فان نصف سكان لبنان يعيشون في بيروت ٠

٥ — المساعدة على ايجاد حالة من النفور ومن النقمة بين أبناء غير العاصمة على العاصمة ٠

٦ — لو نشبت حرب بين لبنان وبين عدو للبنان لوجه العدو جهده الاول نحو بيروت ، فاذا قضى على نشاط بيروت فقد قضى على نشاط لبنان كله ٠ بينما لو كانت صور وصيدا وطرابلس ذات مرافىء ، وكانت بعلبك والنبطية وغيرهما ذات جهاز صناعي أو تجاري مستقل لما كان بامكان

العدو أن ينزل بلبنان ضررا كالذي يستطيع أن ينزله به الآن ٠

٧ ـ ان انجاز الاعمال التجارية والاقتصادية والادارية والسياسية والثقافية الكبرى عن طريق العاصمة يدعو الى تطويل المسافات بين بلدان الوطن الواحد ويعمل على ضياع الوقت والمال والجهد ضياعا لا فائدة منه ٠

أما السياسة الادارية والتمثيل السياسي فحديثهما عجيب ٠

يريد لبنان الذي لا يعد من السكان مليونا واحدا أن يرفع على عاتقيه تمثيلا سياسيا كانكلترة والولايات المتحدة سواء بسواء ٠ يجب أن يكون له في كل بلد كبير سفارة وبضع قنصليات ٠

أنا لا أنكر اننا يجب أن ندفع ثمن الاستقلال وثمن مظاهر الاستقلال ٠ ولكن هل من العدل أن تقضي الدولة اللبنانية على ازدهارها الداخلي في سبيل التمثيل الخارجي فقط ؟ ألا يجوز أن نختصر التمثيل الخارجي على الصورة التالية مثلا :

١ ـ ثلاث سفارات كبرى أو أربع على الاكثر ٠

٢ ـ انشاء قناصل فخريين من مهاجرينا ٠

٣ ـ الاشتراك مع بعض الدول العربية على تمثيل متبادل ، فيكون في الارجنتين مثلا قنصلية سورية تهتم بشؤون السوريين واللبنانيين وفي البرازيل قنصلية للبنان للغاية نفسها ٠

هل يجوز أن يكون للحكومة عشر سفارات مثلا ولا يكون لها مدرسة ثانوية تامة ولا مدرسة ابتدائية حديثة ولا روضة أطفال نموذجية حتى في عاصمة لبنان ؟ هل يجوز أن يكون لنا تمثيل خارجي مثل انكلترة والولايات المتحدة والروسية ولكن ليس عندنا تعليم الزامي كما عندهم ولا مصنع للحديد ولا مصفاة للبترول ؟ هل يجوز أن تكون نفقات التمثيل الخارجي نحو عشرين مليونا من الليرات بينما ميزانية المعارف لا تبلغ خمسة ملايين ؟

على هذا الضوء يجب أن نفكر تفكيرا عاقلا يستشف ما وراء حجاب الغيب ٠

ان التحدث عن مكامن الخطر وعن أوجه الاصلاح شيء يطول وانما الغاية من هذا الذي بسطته لفت الانظار الى هذه الاخطار ٠ وانني اذا أفعل ذلك أؤمن

بأن الاستقلال ـ كيفما كان ـ حق ثمين يجب ألا ندع أحدا يعبث به ٠

هذا وانني لم أعمد الى بسط الامور التي تثير ، ان أردت الا الاصلاح ما استطعت ولكنني نذير بأن هذه السياسة العرجاء خطر على الاستقلال نفسه ٠ بل على الشعب كله ٠ يجب أن نذكر في هذا الوطن اننا اذا ربحنا فسنربح معا واننا اذا خسرنا فسنخسر كلنا كل شيء ويربح المستعمر والدساس فقط ٠ حتى ان الذين يظنون أنهم سيربحون سيخسرون أيضا ، وستكون خسارتهم أعظم لان خسارتهم ستكون خسارة مادية وروحية معا ٠

٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٥ ٠

٢٣ آذار ١٩٤٦ ٠

وقبل أن ينتهي طبع هذا الكتيب صدرت الصحف البيروتية (٨ نيسان ١٩٤٦) وفيها ما يلي (الديار ، الهدف) :

نشرت « وكالة الانباء العربية » **بعد ظهر أمس النبأ التالي :**

القاهرة ٦ (و ٠ أ ٠ ع) ـ **بعث مراسل** جريدة « **أخبار اليوم** » **في** نيويورك **برقية يقول فيها ان المنسنيور انطون عقل المبعوث الشخصي لبطريرك** الموارنة وصل الى الولايات المتحدة وصرح للصحفيين **هنالك بأن سيتقدم الى مجلس الامن** طالبا أن يحمي استقلال لبنان من السيطرة الاسلامية ٠ **وقال :** ان استقلال لبنان تهدده الدول الاسلامية المحيطة به **والتي تبغي أن تؤلف كتلة** من مصر والمملكة العربية السعودية **وايران والعراق وسورية** ، **فاذا تم ذلك** فسوف يبتلع لبنان ويقضي على ديمقراطيته ٠

وقد علقت الجريدتان على ذلك بوطنية وحق وبعد نظر وأبدت الملاحظات التالية ٠

١ ـ ان وزير لبنان المفوض في مصر سأل الحكومة اللبنانية رأيها فلم تبد رأيا ٠٠٠

٢ ـ ما كان موقف وزيرنا المفوض في واشنطن ؟؟؟

٣ ـ ما التدابير التي اتخذتها الحكومة اللبنانية للحال وللاستقبال ؟

٤ ـ ما مدى صحة ما يدعيه الخوراسقف انطون عقل من انه المبعوث الخاص لمقام ديني جليل ؟

لقد عرف القارىء الكريم في هذا الكتيب موقف الشباب من قضايا تدخل رجال الدين بالسياسة ٠ أنا مقتنع بأن الخوراسقف انطون عقل قد قال هذا في نيويورك لانني أعلم انه قال أكثر من ذلك من قبل ، فلماذا هذا الحلم العظيم من الحكومة اللبنانية ؟

خاتمة

ولعل من قرأ هذا الكتاب وسار في شعابه قد طغت الحوادث والوقائع على خياله دون المقصد والغاية فأنا هنا أوجز الهدف من وضع هذا الكتاب ٠

ان لبنان المستقل لا يسير سيرة مستقلة في جهازه الداخلي والخارجي لانه لا يزال خاضعا في تعيين الموظفين ـ والموظفون دواليب الجهاز الحكومي ـ على سياسة الارضاء والخوف من الذين تخشى شرورهم على الاستقلال ٠

وأرى أنا ان الداء راجع الى سياسة غير واضحة ، فبينما نرى كل انسان يدعو الى نبذ الطائفية ـ والمسلمون في الطليعة دائما ـ نرى الحكومة تتمسك بالمبدأ الطائفي ، ولكن حيث يحلو لها التمسك بذلك ٠

وهنالك شر أعظم ، هو أن نفرا من رجال الدين يتخذون لانفسهم صفة رسمية ويطلقون التصريحات في كل مناسبة ذات اليمين وذات الشمال ، ونحن لا ندري بأي حق يفعلون ذلك ٠ ان اختصاص رجل الدين معروف ، والسياسة ليست من عمله لانه عادة لا يفهمها ولذلك ترى بعضهم يصرح اليوم بغير ما صرح به بالامس ، ويكذب اليوم ما نشر على لسانه من قبل ٠ ما لرجال الدين وللسياسة ! ٠

على انني أود أن انبه على أمر مهم جدا ، هو انه اذا اتخذ المسلمون نبذ الطائفية سياسة لهم فليس معنى ذلك حرمانهم من المناصب والامتيازات ومن الحقوق في الدولة اللبنانية ٠ ان المسلمين كالنصارى جزء من سكان هذه الدولة ، والعدل يجب أن يشمل الجميع لا باعتبارهم مذاهب وفرقا ولكن باعتبارهم لبنانيين وبشرا ٠

ثم ان الدعوة الى التآلف والتحابب لا تكون بالكلام الموجه ولا بالسياسات المزدوجة بل بالاخلاص في العمل والعدل في المعاملة والصراحة في السياسة ٠

وأخيرا نصر على اخراج رجال الدين الاجانب الذين أخرجتهم بلادهم كفرنسة واسبانية وايطالية ٠ ذلك لا لان المستعمر هو الذي أتى بهم الى هذه الديار ، بل لانهم هم الذين أتوا به اليها ـ كما قيل ٠

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيـد	٣
دفاعا عن العلم	٥
تمهيـد	٧
المنهاج الحالي	١١
تدريس المنهاج	١٣
سيئات نظام الامتحانات الرسمية	١٦
دفاعا عن الوطن	٢٧
الكلمة الاولى	٢٩
تمهيدات	٣١
حب الوطن	٣١
الوطن المريض	٣٣
الاتجار بالطائفية	٣٥
مكمن الخطر ومداه	٤٠
أين يرجى الاصلاح	٤٠
الجهاز الخارجي والتمثيل السياسي	٤٢
تصريح المطران مبارك	٥١
سيادة المطران مبارك	٥٤
الجهاز الداخلي والعدل الاداري	٦٢
خـاتمـة	٧٣